

الفصل الثانى

دور المغاربة فى الحياة الاقتصادية بالقاهرة

فى العصر الفاطمى

(١) الصناعة

(٢) التجارة

أ - داخلية

ب - خارجية

(٣) المستوى المعيشى

لم تلبث القاهرة بعد تأسيسها فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى أن ازدهرت بها العديد من الصناعات حيث سعى الفاطميون فى منافسة الخلافة العباسية خاصة فى مظاهر الأبهة والعظمة .

١ - صناعة النسيج :

كان إنشاء دار الكسوة بالقاهرة خير شاهد على ازدهار الصناعة بالقاهرة خاصة صناعة المنسوجات ، فكان يتم فيها تصنيع أفخر أنواع الثياب والبز ، وقد عمل الفاطميون على التقرب وإستمالة أهل البلاد المصريين فقد قرر الخليفة كسوة للناس على إختلاف درجاتهم مرة فى الشتاء ومرة فى الصيف ، وعين لذلك أمهر الصناع من المغاربة ليصنعوا للخليفة بصفه خاصة افخر الثياب وللناس عامه باقى أنواع الثياب كل حسب درجته ومكانته فى الدولة .

ولعل ذلك كان من أسباب إنتعاش صناعة النسيج فى القاهرة الفاطمية وهو إنشاء دار الكسوة . فنجدها تبدأ فى القاهرة قوية وفى ازدهار . كذلك كان الصناع المغاربة على درجة كبيرة من الجودة والإتقان الملحوظ حتى أن الصناع المصريين عملوا على تقليد بعض قطع النسيج لمجاراتهم .

وهذا لا يقلل من شأن الصناع المصرى خاصة وله شهرته فى صناعة النسيج منذ القدم ولكن كانت المنسوجات^(١) الفاطمية وإن كانت ذات طابع مغربى ، فإن بشكلها وإبداعها هذا ، يكون بالجديد على الصناع المصرى .

ولا أدل من جمال صنع المنسوجات التى كانت تخرج من دار الكسوة ، من وصف الكسوة التى أمر المعز بصنعها للكعبة المشرفة .

وبدأ ذلك فى سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ، من دار الكسوة وقد تحدث العديد من المؤرخين فى وصف كسوة الكعبة القادمة من القاهرة إلى مكة المكرمة . مثل ابن ميسر وغيره من المؤرخين لتوضيح جمال منظرها وبهائها وجودة صنعها ، وكانت ترسل مرتين فى السنة وكانت تصنع من الديباج الأبيض شعار الدولة الفاطمية^(٢) .

(١) ناصب خسرو : سفر نامه ، ص ١٩٠ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ٢ - ص ١٥١ .

- ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٤٧ .

كذلك من دلائل ازدهار صناعة النسيج فى القاهرة ما كان يسمى بمناسبة "عيد الحلل" وذلك عندما أمر الخليفة المعز بإخراج كسوة العيد لأمرأء والأساتذة المحنكين المغاربة وغيرهم من كبار الدولة فى القاهرة (١) .

ومن الجدير بالذكر ذلك التطوير الذى أضافه المغاربة فى إستخدام النسيج فلم يقتصر - على صناعة الثياب بل إستخدم النسيج فى العديد من الأشياء والصناعات مثل الخيم والفساطيط (٢) المصنوعة من القماش ، كذلك صنعوا من النسيج المساند والمخاد والمراتب والستور وكانوا فى بعض الأحيان يحلون الديباج الأصفر والأحمر محل الجلود والسروج . ومن الجيد والطريف فى ذلك العصر إقبال الأمراء والأعيان المغاربة على مختلف أنواع النسيج سواء احتاجوا إليه أو لم يحتاجوه لأنه كان يعد نقداً مدخراً خاصة الأنواع الغالية والتمينه من النسيج ، وبهذا أصبحت المنسوجات الفاخرة فى ذلك الوقت وكأنها من بين أنواع الثروات (٣) .

وبالإضافة الى دار الكسوة كانت القاهرة فى العصر الفاطمى بها العديد من الخزائن التى أدت أيضا الى نشاط الصناعة بها منها خزانه السروج والتى يعمل بها العديد من الصناع المهرة وأيضاً خزائن الخيم وكان من بين الصناع المغاربة اشتهر الصانع أبى الحسن على بن الحسن الخيمى (٤) ولعل إسمه الأخير يشير الى صناعته ، وكان لهذه الخيام استخدامات عديدة فمنها ما يقام لكبار رجال الدولة وهى أيضا ذات أنواع عديدة منها المصنوعة من القماش المزركش ومنها المخملى الثقيل ، فكان ذلك وفقا لمكانته الشخص المصنوعة من أجله ، وفى بعض الأحيان تقترب من خيمة الخليفة أو تبعد عنها . وكان إبداع الصانع المغربى فى ذلك كبير جدا بحيث تبعث فى المشاهد لها الفخامة ، وكان فناناً صنعها لامجرد صانع خيام فهى

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٠-١٣٦ .

(٢) مفردا فسطاط ، وهى الخيمة الكبيرة ، لسان العرب .

(٣) حسين مؤنس : عالم الاسلام ، ص ٣٤٨ .

وعن ذلك يذكر أن كل رجل فى ذلك الوقت ، ميسور الحال يحرص أن يكون لديه تخت

ثياب " صندوق من الأقمشة والثياب " المصدر السابق .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ٢ - ص ١٥٢ .

مبطنه من الداخل ببذائع النقوش المذهبة وأعمدتها ملبسه بأنابيب فضة ^(١) . أيضا هناك حزائن البنود والفرش والأمتعة وإنفرد العصر الفاطمى وصناع من المغاربة بصناعة الخصر المطرزة بالذهب والفضة وأيضا الستور الحريرية المنسوجة بالذهب على اختلاف أطوالها وألوانها ، ومن المؤكد أن هذه المصنوعات لم تصل الى هذا الحد من الرقى الا نتيجة لوجود الصناع المهرة وأيضا للإشراف المستمر لتحسين وتطوير الانتاج فكان ذلك من المهام التى كانت على عاتق المغاربة خاصة فى بدايات الدولة الفاطمية وهذا هو الأساس . وخاصة أن الاشراف والخدمة فى دار الطراز كان لايتولاها إلا الأعيان وكبار رجال الدولة من المغاربة فى ذلك الوقت مثل أرباب العمائم والسيوف وكان له حق إختصاص بالخليفة فى كل شىء عن دار الطراز ^(٢) .

وبالدراسة ثبت لنا أن دار الكسوة وإن كانت منشأة صناعية للمنسوجات الا أن ذلك لايمنع من وصول أفخر أنواع الثياب المختلفة من جميع مراكز صناعة المنسوجات فى مصر مثل البهنساوتيس وغيرهما . من المراكز الى دار الكسوة فى القاهرة ^(٣) .

بمعنى أن هذه المنسوجات التى تصل من مراكز أخرى غير القاهرة توضع فى دار الكسوة بالقاهرة وعند الحاجة تصرف تذاكر بأمر من الخليفة أو صاحب الطراز وهو متولى دار الطراز ، عندما يتطلب الأمر . إذن دار الكسوة بالقاهرة فى ذلك الحال تشتمل على جميع أنواع الثياب المصنوعة بالقاهرة وخارجها ^(٤) .
كذلك كان هناك صناعة البسط والسجاد :

(١) يذكر ابن ميسر أن صانع صنع للأفضل ابن أمير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرج اشتملت على ألف ألف وأربعمائه ذراع وقائمها بارتفاع خمسين ذراعا ، انفق عليها عشرة الاف دينار وفد مدحها جماعة من الشعراء . ابن ميسر - أخبار مصر . ص ١٥٠

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٣) القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ٧٠-٧٢ .

فقد كانت تلك الصناعة قبل مجيء الفاطميين قليلة منحصرة ولم تكن على ذلك القدر من الجمال والإتقان . ويوجد فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة قطع من نسيج البسط والسجاد فى العصر الفاطمى وكانت البسط المصنوعة فى غاية الفن والدقة حتى قيل عنه أنه منافسا للإيراني الشهير ، وكان المغاربة يصنعون البسط فى القاهرة بأسلوب تقنى حديد فى ذلك الوقت من حيث طريقة النسيج والشكل ونوع الزخرفة المنقوشة عليه وتحديد الألوان^(١).

أما عن النساجين فى دور الطراز فقد كانوا يعملون بالأجر والمقصود هنا دور الطراز العامه أما الخاصة فكان النساجون يعملون لحسابهم الخاص ، حيث يأتى الناس اليهم بالغزل وهم يقومون بنسجه أو أنهم يشترون الغزل وينسجونه لحسابهم ثم يقومون ببيعه .

(٢) صناعة نسيج الحرير :

انفردت القاهرة بالتميز والأهمية فى صناعة الحرير فى العصر الفاطمى وذلك نظرا للتأثير المغربى فى القاهرة من حيث هذه الصناعة فإنهم لم يتوانوا فى البحث عن التطوير والجودة والمنسوجات الحريرة وشجع الخليفة العزيز بالله على انتاج نوعين جديدين من نسيج الحرير وهو العتابة^(٢) والسقلاطون^(٣) وكان الحرير يأخذ من بلاد الصين والهند وما أن توفرت المادة الخام حتى عمل الصناع المغاربة على إبتكار وتحديث العديد من المنسوجات الحريرية^(٤).

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، ج ٢ - ص ٤٩٦ .

(٢) ينسب الحرير العتابة الى بغداد .

(٣) ينسب الحرير المسمى بالسقلاطون الى بلاد الروم .

(٤) الدمشقى : الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٤٥ .

إذ تمكنوا من صنع قماش منسوج من الحرير الخالص فقد كان فيما سبق فى صناعة النسيج قبل العصر الفاطمى أن تصنع المنسوجات أو الأقمشة المطعّمة بالحرير وليس المنسوجة من بدايتها حتى نهايتها من الحرير كما فعل الصناع المغاربة فى العصر الفاطمى. وبذلك تكون نقطة تحول هامه ورائدة فى صناعة نسج الحرير .

وكانت هناك أنواع من المنسوجات الحريرية مثل الديباج^(١) - والتي لاتصنع إلا للخليفة الفاطمى فى بادىء الأمر إلا أن أفراد الشعب^(٢) كانوا يحصلون على أنواع من الأقمشة الحريرية فكان ذلك تأثراً بالمغاربة فى تفصيل الجلابيب والعمائم وتزيينها بشرائط من الحرير^(٣) وتعددت دور النسيج الحريرية فى القاهرة الفاطمية ورغم ذلك لم تكف حاجة البلاد من الأقمشة الحريرية بالرغم من كل تلك القيود التى أشار لها الفقهاء فى إستعمال الرجال للحرير ، فإنه يبدو مع حياة الناس فى ظل الحكم الفاطمى وأيضاً مانعموا به من ثراء كان وراء كثرة استخدام المنسوجات الحريرية^(٤) للنساء والرجال خاصة لطبقة الحكام والأمراء .

(٣) صناعة الأصباغ والألوان :

ارتبطت صناعة الألوان والصباغة الى حد كبير بالنسيج والأقمشة ، ولقد إستطاع الصباغون إستخلاص الأصباغ اللازمة من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية الموجودة فى البلاد أو خارجها^(٥) فمثلاً للحصول على اللون الأحمر كان يستخرج من مادة تسمى

(١) الديباج : هو قماش له لمعه وبريق ويعتبر تقليداً للحرير الصينى وكلمة ديباج فى الأصل فارسىة بمعنى - لباس السروج .

(٢) المسبحى : تاريخ مصر ، والمقريزى ، خطط ، ج ١ ، ص ٥٠٩ .

(٣) يصف الدمشقى أنواع الحرير الجيد فيقول " افضلها ما حسن صنعه ، وانتظمت نقوشه وبق حريره

وخف وزنه واشرق لونه " - الدمشقى - الإشارة الى محاسن التجارة ، ص ٤٦ .

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ - ص ٨٩ .

" اللعلی" ^(١) كذلك هناك ما يستخرج من العُصفر والقرطم والنبله وغيرها من المعادن مثل الشب والنطرون وكان من الإبداع المغربى فى الصباغة ^(٢) هو ظهور اللون القرنفلسى بدرجاته كما الزهرة والأخضر الزرعى والأصفر العاجى والأزرق الفاتح أيضا من الاضافات الجديدة للصباغين المغاربة هو الصبغة باللون الذهبى ذو الألوان المتدرجة وهذا ما يؤكد مهارة الصباغين المغاربة وخبرتهم فى كيميائية الصباغة .

وبين الصباغين يتردد اسم " جعفر بن محمد الصباغ " فى نص من نصوص وثائق الجنيزة حيث كان من بين الصباغين المغاربة ومن الذين يعدوا فعلا من أمهرهم وهناك صباغ ماهر كان صاحب مصبغة بالقاهرة وهو " عروس بن يوسف " وهو من المهديه يتونس كما أنه عرف عنه نشاط آخر غير الصباغة حيث كان تجاراً خاصة اشتهر فى التجارة الخارجية .

وأما عن دور الاشراف على الصباغين فكان ذلك للمحتسب لمنع أية محاولات أو أساليب للغش فى الأصباغ المستخدمة فقد قيل أنه كان هناك من يصبغ الثياب بالحناء بدلاً من الفوه ^(٣) فتخرج حسنة المظهر لمدة قصيرة وسرعان ما يتغير لونه ^(٤) لذلك كانت الرقابة شديدة فى العصر الفاطمى فقد ظلت هذه الأصباغ ثابتة حافظة على بهائها طوال تلك السنين وحتى الان فنجدها على ذلك فى متحف الفن الاسلامى .

(١) اللعلی : مادة مستخدمة فى الصباغة ذات لون أحمر عرفها المصريون بعد دخول العرب وفتح

مصر وهى مادة تجلب من بلاد الهند ، المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ص ١٣ .

(٣) الفوه مادة تستخدم فى الصباغة لإعطاء لون أحمر ثابت .

(٤) سيد طه : الحرف والصناعات ، ص ٤٤ .

(٤) الصناعات الزخرفية :

هذا النوع من الفنون والصناعات الزخرفية له ارتباط وثيق بالمنسوجات والمتبّع لدراسة فن الزخرفة في العصر الفاطمي يجد أنه يمر بمراحل أربع على مدى عهد الخلافة الفاطمية وكانت كل مرحلة لها مميزات التي تختص بها ، وقد احتفظ لنا متحف الفن الاسلامي بمجموعات من قطع النسيج المزخرفه والتي توضح لنا هذه المراحل (١) .

فكانت المرحلة الأولى في زخرفة المنسوجات على هيئة أشرطة متوازية ومتداخلة مع بعضها البعض وعليها رسوم لحيوان أو طائر أو أزهار أو انسان وبالطبع هذه مرحلة توضح مفاهيم وأثر مغربي شيعي إذ يستخدمون الزخرفه بالرسوم والأشكال الآدمية وذلك مخالفا للسنة لأن ذلك مكروه في الإسلام (٢) .

وتأتى مرحلة أخرى في فن الزخرفة إذ يبتكر الصانع المغربي الكتابه الخطية في العديد من التصميمات التي لم تكن معروفة قبل مجيء الفاطميين لمصر . وكانت هذه الكتابه الخطية مزينه بزخرفة نباتيه وبدأ ذلك التطور في سنة ٤٤٣ هـ كما أننا نرى بالدراسة تنوع الصانع المغربي في فنون الزخرفة حيث يملأ الفراغ الموجود بين الحروف بأشكال هندسية دائرية - أيضا ومن تلك الابداعات ما وجد من قطعة كبيرة من الكتان عليها اسم الخليفة الفاطمي ومزينه بشريطان على كل منهما صف من الجامات الحمراء والسوداء ، وفي تلك الفترة أو المرحلة استخدم المغاربه خيوط الحرير من جميع الألوان في تناسق تام مع الخيوط الذهبية (٣) . ويزينها أشرطة أفقيه يتوسطها رسم لزوجين

(١) حسن الباشا : الفنون الاسلامية - ج ٣ ، ص ١٠٧ .

(٢) الذهبي - الكباير - ص ١٩٥ .

حيث أورد في كتابه تحريم التصوير في الثياب والحوائط وغيرها .

(٣) مرزوق - الزخرفه المنسوجة - ص ١٠٦ .

من الصقور على أرضيه خضراء مصنوعه من الحرير والخيوط مصنوعه من الجلد المطروق بالذهب^(١).

وإستمراراً فى الابداع المغربى فى الزخرفة استخدم الحرير . فكانت هذه مرحلة أخرى جديدة فى فن الزخرفة وأهم ما يميزها هو استخدام الحرير الذهبى^(٢)، لما له من عمق فى نفوس الناس لإقتنائه ، فكثرت استخدامه فى زخرفة المنسوجات مع استعمال خط النسخ المدور لأول مرة فى زخرفة المنسوجات حيث كانت هذه الطريقة فى زخرفة المنسوجات متبعه فى بلاد المغرب ، وعند استقرارهم فى القاهرة نقلوها معهم ، حيث اصبح هذا النوع من الزخرفة بالكتابة بالخط النسخ المدور هو النوع المفضل فى زخرفة المنسوجات فى العصر الفاطمى الأخير وهكذا يمكننا القول أن هؤلاء الصناع المغاربة ظلوا فى حركة دائمه داخل دور الطراز الفاطمية وخارجها لاثبات مهارتهم ومقدرتهم على التنوع والإبتكار .

(١) كان الصناع فى العصر الفاطمى يقطعون الذهب الى صفائح رقيقه ثم ينسجونها الى خيوط ثم يمزجون الخيوط الذهبية مع الكتابة أو غيرها من النسيج ، سيد طه - الحرف والصناعات - ص ٦٨ .

(٢) كانت خيوط الذهب عبارة عن أمعاء الحيوانات التى لصقت بها صفائح الذهب وكانت تجلب من الخارج وتصل للقاهرة عن طريق ميناء الاسكندرية ، مرزوق - الزخرفة المنسوجة، ص ١٠٦ .

(٣) كان العرب يطلقون على مصانع النسيج دور الطراز وفى الأصل كانت تطلق على كتابه الزخرفية فى بدايه الأمر ثم اتسع المدلول واصبح يشمل الكتابه على الورق والنسيج والمكان الذى تصنع فيه المنسوجات ، ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ١ - ص ١٥٣ .

(٥) صناعة السكة الفاطمية :

تحقيقاً للنفوذ الفاطمي في مصر وتعويضاً لما فقدوه من مدن الغرب في بلاد المغرب التي استقلت عن نفوذهم عقب دخولهم مصر .

عمل الفاطميون على قيام دور للضرب في القاهرة . وتوضح دراسة السكة الفاطمية في متحف الفن الاسلامي عن استخدام الصانع المغاربه في صناعة الدنانير والفلس والذي يتضح أيضا أنه كان هناك جهازا رسميا معنولا عن تصميم هذه المسكوكات ^(١) .

أولا : صناعة الدنانير :

استخدم الصانع طريقتان أساسيتان في صناعة الدنانير وهما :

- ١ - طريقة الصب في القالب .
 - ٢ - طريقة الطرق والضغط .
- وسوف نقوم بعرض سريع لطريقة الصنع المستخدمة للسكة الفاطمية .

(١) طريقة الصب في القالب :

وينقسم الى نوعين اما الصب في قالب أصلي أو الصب في قالب مشتق .

(٢) طريقة الطرق أو الضغط :

وهي تنقسم بدورها الى نوعين :

- اما الضرب على قالب أصلي .
- أو الضرب على قالب مشتق .

وفى الحقيقة أن الطريقة الأكثر شيوعا فى العصر الفاطمى هى طريقة صب النقود فى قالب مشتق حيث أن القوالب المشتقة كانت تنتج باعداد وفيرة ليصب فيها أعدادا كبيرة من الدنانير ، كما أن طريقة الطرق لم تستخدم بكثرة فى العصر الفاطمى نظرا لأنها تعطى شكلاً غير كامل الإستدارة ^(١) .

ثانيا : صناعة الدراهم :

كانت الدراهم فى العصر الفاطمى تصنع على يد أمهر الصناع المغاربة مثل الدنانير ولكن بالرغم من قلة ما وصلنا من الدراهم الفاطمية ، الا أن أسلوب صناعتها يوضح أنها كانت تشكل بطريقة الطرق وتضرب على قالب أصلى ^(٢) أو مشتق وذلك بعمل قضبان من الفضة ثم ترقق وتلمح وتقص الى قطع ثم توضع القطعة الفضية وهى ساخنة بين قالين احدهما خاص بالكتابة على الوجه والأخرى للكتابة على الظهر ويتم الطرق على القالب العلوى فتطبع الكتابات على وجهى القطعة الفضية ، وهناك أمثال لدراهم الخلفاء الفاطميين مثل العزيز والحاكم والمستصر والحافظ والعايض محفوظة فى متحف الفن ^(٣) الإسلامى بالقاهرة .

ويتضح من دراسة صناعة السكة الفاطمية دور الصناع المغاربة فى تنفيذ وصنع السكة كما أن السكة وصناعتها إرتبطت بديوان الإنشاء حيث إختص هذا الديوان بوضع الألقاب الى جانب تصميم العملة حيث كان لكل خليفة فاطمى ألقابه وطرزه المتبعه على السكة المضروبه فى عهده .

ومما لا شك فيه أن للسكة الفاطمية أهمية كبرى فهى تمثل سلطة الخليفة وتعد وسيلة من اهم وسائل الاعلام فى ذلك العصر كما تكشف لنا السكة عن العديد من الجوانب فى تلك الحقبة الزمنية من الحكم الفاطمى فى مصر من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

(١) مايه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ١٤٣ .

(٢) عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود ، ص ٢٢٩ .

(٣) يوجد درهم للخليفة العزيز بالله فى متحف الفن الإسلامى رقم ١٧٧٠٤ - ودراهم الحاكم سجل

(٦) صناعة الورق والكتابة :

ازدهرت صناعة الورق والكتابة فى القاهرة المعزية الى حد كبير وكانت هناك العديد من الأسباب وراء ذلك وفى مقدمتها تشجيع وحب الخلفاء الفاطميين ^(١) للعلم والإطلاع .

وحظى الوراقون بإهتمام بالغ من الخلفاء والوزراء الذين حرصوا على اقتناء المكتبات فى قصورهم كما كان ناسخ الكتب والمخطوطات يقوم بانجاز ذلك فى أسرع وقت وإخراجها فى أحسن صورة من أجل الاستفادة المعنوية والمادية حيث كان الناسخ يحصل على مكافآت كبيرة عند إتمام عمله . ويذكر ابن خلكان ان الخليفة العزيز بالله أمر أن يجرى الارزاق فى كل شهر على الوراقين والمجلدين العاملين بالمكتبة نحو ألف دينار ^(٢) .

ولاشك أن تقدم الثقافة كان له الأثر فى إنتشار محال الوراقه فى القاهرة وتقدم هذه الصنعه كذلك صناعة التجليد الذى كان ضروريا لحفظ الكتب من التلف .

وفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٦ م ، تم إنشاء دار الحكمة التى إشتملت على مكتبة عامرة بها عدد كبير من النساخ والوراقين ، وبطبيعة الحال كان وجود دار الحكمه حافزا قويا لصناعة الورق والوراقين حيث كان يؤتى لهم بالكتب لينقلوا منها عددا من النسخ لتزود بها المكتبة فى دار الحكمة أو كما يقال لها فى العصر الفاطمى دار العلم ، وكان هذا مرحلة أخرى فى تطور وازدهار الثقافة التى تقوم عليها صناعة الورق وحرفه الوراقين ، ومن الجدير بالذكر أنه فى عهد الخليفة المعز لدين الله ظهر اختراع القلم الأبنوس أداة للكتابة ^(٣) فهو يكتب بدون الاستمداد من دواه فيكون مداده من داخله ، وهذا سبق فاطمى مغربى بلا شك نفذه أمهر صناع البلاط الفاطمى .

(١) كان الخليفة المعز يهوى الاطلاع ويقضى معظم وقته فى مكتبة قصره وعن ذلك يقول المعزل

لدين الله * والله ما لذت بشيء تذلنى بالعلم والحكمة * القاضى النعمان - المجالس والمسائرات

- ج ٢ - ورقه ٥٩٩ - مخطوط بدار الكتب .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج - ص ٣٢٠ .

(٣) القاضى النعمان : المجالس والمسائرات - ج ٢ ، ص ٣٢١ .

وعن هذا القلم يقول المعز " فيكو آلة عجيبة لم نعلم انا سبقتنا اليها ، دليلا على حكمة بالغه لمن تأملها وعرف وجه المعنى منها" (١) .

وبالفعل هذا تقدم ملحوظ ودليل على ابتكار الصانع المغربي الذي صنع هذا النوع من أقلام الحبر الأبنوس والتي نسبت الى الخليفة المعز كمادة الحكام في ذلك الوقت ولم نستدل على اسم الصانع ، ودليل اخر على تشجيع الخلفاء الفواطم وحبهم للعلم اهتمامهم بالأدوات المستخدمة في كتابه خاصه الدواه فكان لها مكانه رفيعه في العصر الفاطمي اذ كانت منشارات الملك فكانت من بينشارات الخليفة مثل تاجه الذي يضعه على رأسه وقضيب الملك الذي يكون في يده فكان عبارة عن دواة ثمينه وعنها يذكر القلقشندي بقوله "وتعتبر أعدويه من أعاجيب الزمن" (٢) .

كما أن الدواه في العصر الفاطمي كانت رمزا الى كبار موظفيها وبذلك كانت الدواه ذات مكانه رفيعه كرمز للثقافة في العصر الفاطمي .

وفي الحقيقة أن الوراقه ونسخ الكتب من أفضل أنواع الصنائع ويذكر السبكي أن على الوراق والناسخ أن يلزم طالب العلم .

وهناك من كان من المغاربة المشغولين بالوراقه وفي نفس الوقت من الأدباء ومنهم "على بن الحسن وأخيه أبى القاسم بن الحسن" وكان صاحب شهرة في الخط مثل أخيه يقرض الشعر وصنعه الوراقه (٣) .

كما اشتهر في هذا المجال محمد بن على بن محمد أبو سهل وقام بنسخ العديد من الكتب في اللغة والنحو وغيرهما وعرف بخطه الجيد ، وكان هؤلاء الوارقين لا ينسخوا شيئا من الكتب المضله مثل أهل البدع والأهواء ولا يكتبون الكتب التي لا ينتفع بها ، وكان الوراق ينسخ كل خمسين ورقه بدينا (٤) .

(١) المصدر السابق . نفس الصفحة .

(٢) القلقشندي : صبح ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) المصباح المنير : ج ٦ ، ص ١٩٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات ، ج ١ - ص ٣٤٠ .

ومن عوامل ازدهار الوراقه تخصيص مكتبه فى كل جامع كبير مثل الجامع الأزهر وجامع الحاكم وغيرهما لأن هذه المكتبات تحتاج الى العديد من الكتب التى كان النساخون يقومون بنسخها .

ولم يقتصر عمل الوراقين على نسخ الكتب بل تجليدها أيضا وكذلك صنع أدوات الكتابة كالمحابر والأقلام مستخدمين مادة النحاس والحديد فى صنع الدوى المختلفة ، كذلك كان يتم صنعها من الأبنوس المحلى بالذهب ^(١) . ويصف ابن الحاج حركة الصناع بمحال الوراقه وهم يصنعون الورق ويحذرهم من القيام بغش الورق عند صناعته وخلطه بالنوع الخفيف لأن ذلك يجعل الورق لا يتحمل الكشط عند إزالة الكتابة ^(٢) .

(٧) صناعة الخزف :

يعتبر العصر الفاطمى هو العصر الذهبى للصناعات ومن بين هذه الصناعات صناعة الخزف ، ومن المعروف أن صناعة الخزف كانت بمصر منذ زمن بعيد قبل مجيء الفاطميين لمصر ، ولكن ما اضافته الصناعة الفاطمية على يد صناعها المغاربة فى صناعة الخزف فاق ما سبقه فى عدة نواحي .

(١) المقرئى : الخطط : ج ٢ : ص ١٢٧ .

ابن خلكان : وفيات : ح ١ ، ص ٣٤٥ .

(٢) يشرح صاحب عمدة الكتاب طرق ازاله الكتابه حيث كان يعمد الناسخ الى اخذ كمية من البورن " الاسفيداج " وكمية مماثله من الصمغ العربى وما يعادلها من الكبريت ويدق الجميع ويسحق المخلوط وعند الحاجة اليه يصب عليه مقدار من الماء ويكتب به على الحروف او على الكتابه فانها تزول مخطوط بدار الكتب لمؤلف مجهول رقم ٣٦ .

منها دقة الصنع وجودة المنتج من الخزف خاصة ذى البريق المعدنى فقد عشق الفاطميون الفنون وشجعوا الصناع على الابتكار خاصة لأدوات الترف والنعيم فازدهرت صناعة الخزف فى القاهرة المعزية وجلب لذلك أمهر الصناع من المغاربة ومن هؤلاء الذين اشتهروا فى تلك الصناعة " مسلم بن الدهان " فكان له مصنعه الخاص وصيانه وتلاميذه ليتعلموا منه أصول الصنعة ^(١) . أيضا " على البيطار " الخزاف حيث ينسب له صناعة الطبق ذى البريق المعدنى للقائد " غبن " قائد الخليفة الحاكم وهو محفوظ فى متحف الفن الاسلامى .

وتمدنا توقيعات الصناع على قطع الخزف على أسماء العديد منهم مثل " الغيبى - غزال - أبى المعز وغيرهم " .

ولقد كثر استخدام الخزف فى العصر الفاطمى فقد كانت الأطباق المصنوعة من الخزف تستخدم بكثرة على أسطه الفاطميين وكان هناك المقاس الكبير والمتوسط وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع الحلوى فى الجامات المصنوعة من الخزف .

ومن الأوانى المصنوعة من الخزف الزبادى والصحون وغيرها من الفخار أو من الخزف ذى البريق المعدنى ، وكثر استخدام الخزف فى اسواق القاهرة حيث كان التجار والبقالون يصنعون فيها ما يبيعونه بدلا من الورق فى كثير من الأحيان ^(٢) .

وذلك دليل على إنتشار صناعة الخزف ، كذلك استخدمت أختام خزفية لصنع وزخرفه الكعك والحلوى الخاصه بالفاطميين والتي نقلوها الى مجتمع القاهرة .

(١) بحث منشور - مجلة المقتطف - ترجمة عبد الرحمن زكى ، ص ٥٧١ .

(٢) ناصر خسرو - سفر نامه - ص ٧١ .

وكانت القاهرة من أهم مراكز صناعة الفخار والخزف فى العصر الفاطمى وتدلنا المجموعات الموجودة فى متحف الفن الاسلامى ، عن قدور وصحون وزبادى وغيرها من الأوانى الخزفية ، على تقدم هذه الصناعة وإبداع الصانع المغربى لها من حيث الشكل والمضمون ، فمن ناجية الشكل فأخذ تطوراً جديداً عن باقى العصور من حيث الرسومات والأشكال خاصة الهندسية والأدمية وهو لم يكن قبل قدوم الفاطميين لمصر .

أمّا من حيث المضمون فإن دقة الصنع المغربى ^(١) كانت فى خفه وزن الأوانى الخزفيه ومن الكتابات التى تدل على ذلك حيث يضعها الصانع المغربى عند إتمام عمله "من خف عف" وغيرها من الكتابات التى تدل على جودة الصنع ^(٢) .

صناعة الزجاج والبللور :

تشير المصادر الى أن صناعة الزجاج فى العصر الفاطمى قد تقدمت وتطورت تطوراً ملحوظاً ، وكان من ابرز ما صنع فى ذلك العصر هو أنواع الزجاج المطلى بالمينا وقد اشتهرت القاهرة بصناعته ، كذلك صنع الزجاج ذى البريق المعدنى الذى أنتجه الصناع المغاربة خاصة ذلك النوع الذى صنعه الزجاجون فى القاهرة وهو نوع من الزجاج الأحمر ذى البريق المعدنى وأيضاً الأبيض ^(٣) السميك وقد وجد فى المتحف القبطى بالقاهرة مجموعة من الأوانى المصنوعة من الزجاج الأبيض السميك الذى يرجع صنعه الى العصر الفاطمى . وفى الحقيقة أن حياة الترف التى عاشها الخلفاء الفاطميون ومن عاش فى حكمهم كانت من العوامل الهامة فى إنتعاش العديد من الصناعات ومنها الزجاج والبللور ويدلنا على ذلك وجود خزانه البللور داخل القصر الفاطمى ^(٤) .

(١) ديماندا : الفنون الاسلامية ، ص ٢٨ .

(٢) سيد طه - الحرف والصناعات ، ص ٩٦ .

(٣) ابن دقماق: الإقتصار ، ج ٤ ، ص ٨١ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ص ١٢٧-١٢٨ .

ولقد تنوعت صناعة الزجاج وتعددت فى ذلك العصر بالقدر الذى كان سببا فى انخفاض ثمنه لإنتاج العديد من الأدوات والتحف البلورية فى بعض الأحيان ولكن فى أحيان أخرى نجد ثمنها لا يقدر بثمن ويكون ذلك وفقا للمنتج من حيث الجودة وجمال الصنع ، كذلك كان يصنع من البللور عصا الكحل الخاص بتزيين المرأة ، وغيرها من المصنوعات الزجاجية .

ومن الزجاجين المعروفين فى بداية العصر الفاطمى من المغاربة أبو جعفر الوزير أبو الفضل ^(١) حيث كان حاذقا فى صناعة الزجاج وكانت صناعة الزجاج تضم أيضا صناعة القناديل ^(٢) ، والمصابيح وهى من الصناعات التى لها رواج كبير بصفه عامه فى العصر الفاطمى بصفه خاصه ، فى المواسم والأعياد والمواكب السلطانيه التى تتطلب الاناره والتزيين بالقناديل ، حرص الفاطميون على تزيين الجوامع والمساجد بالكثير من هذه القناديل، وكان للصناع المغاربة ذوقهم المتميز فى روائع مبتكراتهم وزخرفتهم على الزجاج والبللور والتى كانت قصور الخلفاء والأعيان تضم الاف من القطع الزجاجية المصنوعه بأيدى أمهر الصناع المغاربة .

صناعة التحف المعدنية :

أ - المصنوعه من النحاس والبرونز :

عندما إتسع نشاط دار الصناعة الفاطمية لم يقتصر عملها على مطالب الجيش والاسطول الحربى ، بل تنوعت المنتجات والمصنوعات لتلبيه احتياجات السوق فضلا عن متطلبات القصور الفاطمية ، وكان من بين هذه الصناعات صناعة التحف المعدنية نظرا لطبيعة الفاطميين من حب الترف والثراء .

(١) المسبحى : تاريخ مصر ، ص ٢١٧ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٥٩ .

يقول المقرئى " أن للسيدة رشيدة ابنة المعز تملك نحو مائه قطرميد " برطمان زجاج

مملوءة بالكافور " ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

فكان لصنع التحف بأنواعها رواجاً كبيراً فى ذلك الوقت - ورغم عدم توافر المادة الخام من النحاس اللازم لهذه الصناعة الذى لايتوافر الا فى بخارى واصفهان ، ولطبيعة هذه الصناعة كانت تتطلب وجود مسابك للنحاس والبرونز وهذا ما كان قائماً بالقاهرة الفاطمية وكان موضع هذه المسابك عند الخارج من باب الفتوح وكانت هذه المسابك للحديد والنحاس وغيرها بدورها تتطلب معرفة فن تسقيه هذه المعادن .

وممن اشتهر فى هذه الصنعة من المغاربة اسم تردد كثيراً فى أوراق الجنيزة هو "ابراهيم بن ييجو من المهدية بتونس" (١) ، وكما هو معروف أن هناك نوعان من النحاس ، للنحاس الاصفر وكان يجلب من بخارى والنحاس والأحمر وكان من اصفهان ، وقد برع الصانع المغربى كعادته فى صنع أفخر أنواع التحف التى ذخرت بها القصور الفاطمية ، وعن هذه الصناعة ذكر ناصر خسرو عندما زار القاهرة زمن الخليفة المستنصر " وقدحدث مرة ان وجدت هناك امرأة تملك خمسة الاف من هذه الأواني وكانت تؤجر الواحدة منها ب درهم واحد فى الشهر " (٢) .

وتدل هذه الرواية على أن الاواني المصنوعة من النحاس كانت تنتج للعديد من الاغراض وبكميات وفيرة . وكان فنانون العصر الفاطمى يصنعون من النحاس والبرونز تحفا على اشكال مختلفة على هيئة طيور .

(١) تحكى وثائق الجنيزة عن هذا الصانع أنه فى فترة ما ترك القاهرة أو مصر وسافر الى الهند حيث يمتلك مصنعا للنحاس الأصفر هناك ولكن بعد وفاة إبنه الوحيد عاد مرة أخرى الى القاهرة ليزوج إبنته الوحيدة الى أحد أبناء عائلته المغربية فى مصر جواتين - دراسات فى التاريخ الإسلامى - ص ١٨٤ .

(٢) ناصر خسرو ، سفر نامه . ص ٦٠ ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ١٤٠ .

وتشير المصادر إلى أن القصر الفاطمي قد حفل بالعديد من التماثيل والمباخر المصنوعة من النحاس ذات الطابع الفاطمي المغربي والتي تزين قاعات القصر ، ومن الجدير بالذكر وجود تمثال لطائر العقاب مصنوع من البرونز ويرجع صنعه للعصر الفاطمي وهو موجود الآن في إيطاليا وبالتحديد فوق إحدى أروقه المقابر بمدينة بيزا (١) .

ومن أسماء الصنائع المغاربية الذي نجد أسمائهم محفورة على صناعتهم نذكر منهم ، سعيد بن علي وعبد الله المثل والذى ورد إسمه ضمن توقيع محفور على تمثال لأسد مصنوع من البرونز وذلك بتاريخ سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، وهو محفوظ في متحف كسل (٢) ، ولقد ازداد الطلب بكثرة لصنع العديد من التحف والتماثيل والمباخر وغيرها من التحف المعدنية في العصر الفاطمي (٣) . التي يدخل في صنعها معدن النحاس والبرونز الى جانب باقى الصناعات التي كان يدخل في صنعها هذان المعدنان (٤) .

ب - التحف المعدنية المصنوعة من :

الذهب والفضة :

لم يقتصر استخدام الذهب في صناعه الحلوى الخاص بالنساء في العصر الفاطمي وإنما كان يصنع منه العديد من التحف والأدوات المرصعة بالجواهر النفيس من الزمرد والياقوت وغيرها .

(١) سيد طه : الحرف والصناعات - ص ١٦١ .

(٢) Wiet : Reprtoire, Tome, 6,no,2139. p.74

(٣) المقدسى ، أحسن التقاسيم - ص ٢١٢ .

(٤) Leclerc: Histoire de la medecine, Arabi, p.511.

ولكثرة استخدامات الصناعات الذهبية في العصر الفاطمي وتأكيدا لأهميته عندهم في ذلك الوقت ما كان يوجد داخل القصر من قاعات عرفت بقاعة الذهب داخل القصر الشرقي وقصر الذهب في عهد الخليفة العزيز بالله ، فقد استخدم الصناع كميات كبيرة من الذهب لصناعة التحف الثمينة وأيضا الفضة التي وضعوها في مقدمة قاعات القصور (١) الفاطمية وقصور أمرائهم ، ومن هذه التحف ما صنع على هيئة طاووس من الذهب والمرصع بالجواهر وعيناه من الياقوت الأحمر .

ولقد افاض المؤرخون في وصف التحف التي تزين القصور الفاطمية المصنوعة من الذهب والفضة والتي عمرت بها قصورهم والتي يستخدمونها في مواكبهم (٢) .

ولقد نشطت حوانيت الصاغة في القاهرة بعد مجيء الفاطميين وتأسيسها ، ولاغرو في ذلك فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الفاطميين جاءوا الى مصر ومعهم الأحمال المحمله بالذهب ، هذا فضلا عن البحث والتقيب داخل مصر عن الذهب والكنوز في المناجم ، وقد ذكر ناصر خسرو (٣) أنه كان للخليفة خادم يسمى عمدة الدولة وكان عظيم المال والجاه ومن اختصاصه البحث في تلال مصر عن الكنوز والذهب وكان يكلف لهذا رجال من المغاربة للبحث في التلال خاصة في وادي العلاقي عن الذهب والأحجار الكريمة (٤) .

وفي الحقيقة أن فنانى وصانعى تلك التحف قد استطاعوا بكل المقاييس أن يقدموا أروع وأبدع ما يمكن أن يقدم من التحف المصنوعة من المعدن سواء النحاسية أو البرونزية أو الذهبية منها وهذا دليل واضح على ما كانت تتعم به البلاد من رخاء وتقدم في ذلك العصر .

(١) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٨٣ .

(٢) آدم مئز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٣) ناصر خسرو - سفر نامه ، ص ٦٤ .

(٤) يضم المتحف الاسلامى بالقاهرة مجموعة من خواتم الذهب المزخرقه بزخارف نباتيه أو حيوانيه وعليها كتابات كوفيه توضح روعة وجمال الصنع وما توصل اليه الصانع المغربى فى العصر الفاطمى رقم ١٣٨٧٢ .

المصنوعات الخشبية والحفر على الخشب :

كانت عمارة المساجد والقصور وتزيينها بالمصنوعات الخشبية ^(١) أهم ما يميز هذه الصناعة في العصر الفاطمي . فكان الصناع المغاربة يقومون بعمل المقصورات والمنابر والمحاريب ومثال ذلك ما صنع من الخشب المخروط والمتقن الصنع وهو منبر الجامع الأزهر الذي كان تحفة فنية نادرة . وفي الحقيقة أن المادة الخام اللازمة للصناعات الخشبية لم تكن متوفرة في البلاد بالدرجة المطلوبة خاصة من ناحية الجودة فكانت تجلب من بلاد الروم والشام والمدن الإيطالية ، وأيضاً هناك ما صنع من الأخشاب المحلية ^(٢) . والتي تصنع منها الدكك والأسرة والمقاعد وغيرها ، أما الأخشاب اللازمة لصنع المقوف والأبواب والاعمدة والمنابر فكانت تجلب من الخارج .

والجدير بالملاحظة ذلك التطور والابتكار الذي قام به الصناع في العصر الفاطمي فقد تم التوصل لاستخدام بعض الدهانات ذات التركيبة الكيميائية في طلاء الأخشاب المصنوعة لمنع إحتراقها وتعرضها للتلف ^(٣) .

وعن صناعة الأبواب الخشبية في العصر الفاطمي كانت هناك مرحلة جديدة وإبداع حيث استعملت كسوة وتطعيم للأبواب الخشبية بالنحاس ومنها ما كان لباب جامع الصالح طلائع بن رزيك حيث كان مكوناً من مصراعين صفح الوجه بالنحاس المزخرف أما الظهر فكان من الخشب المحفور ذو زخارف جميلة على الطراز الفاطمي . ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بهذين المصراعين وهو من أقدم الأبواب المصنفة بالنحاس في القاهرة المعزية ^(٤).

(١) كانت الاخشاب خاصة خشب الساج من الصادرات التي ترد من الهند الى مصر في العصر

الفاطمي ، المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٥ .

(٣) سعيد عاشور ، المدينة الاسلامية ، ص ١٤٠ .

(٤) يضم متحف الفن الاسلامي بالقاهرة مجموعة من الأمشاط الخشبية عليها زخارف نباتية ترجع

صناعتها الى العصر الفاطمي .

والى جانب هذه المصنوعات هناك العديد من المصنوعات الخشبية التى قام بصنعها الصناع المغاربة ، كادوات التسلية ولعب الأطفال على شكل طائر أو حصان ^(١) ، أيضا هناك إضافة فاطمية مغربية جديدة على صناعة الأخشاب فى القاهرة المعزية ، حيث إنتشر واستخدم العاج فى تطعيم الخشب وتجلي اهتمام الفاطميين فى استخدام العاج " أنياب الفيل " التى كانت تجلب من الهند والحبشة .

فكان يطعم قطع الأثاث والألواح الخشبية ^(٢)، وفى الحقيقة كان هذا بالجديد أو بالاثر المغربى على صناعة الأخشاب حيث لم يرد فى المصادر وجود التطعيم بالعاج فى المصنوعات الخشبية فى فترات ما قبل الحكم الفاطمى بمصر، ومما يؤكد صحة ما نقول وجود صندوق فى إحدى القرى القريبة من بلنسية الاندلسية والمصنوع من الخشب المطعم بالعاج لأمير المؤمنين المعز لدين الله . ومكتوب عليه بالخط الكوفى : " بسم الله الرحمن الرحيم : نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معز أبى تميم الامام المعزل لدين الله ... ما أمر بعمله بالمنصورية " ^(٣) .

فهذا دليل على أن هذه الصناعة قائمة فى بلاد المغرب وجاء بها الى مصر الصناع المغاربة حيث كان تاريخ صنع هذا الصندوق قبل الفتح الفاطمى لمصر .

وتبهرنا براعة الفنان والصانع المغربى عندما عثر على لوحات عاجية كانت أجزاء من صناديق خشبية مطعمه بالعاج ^(٤) توضح مدى الرقى وبراعة الصنع .

(١) زكى محمد حسن ، الكنوز الفاطمية ، ص ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٨٢ .

(٤) توجد هذه اللوحات وعددها ٨ لوحات منها ، ٦ لوحات فى متحف برجيلو بفلورنسا واثان فى

متحف اللوفر فى فرنسا - ديماندا - الفنون الاسلامية - ص ١٣٢ .

صناعة البناء :

عند دخول الفاطميين مصر بقيادة جوهر بدأت على الفور حركة البناء وتجلت في تأسيس القاهرة المعزية وبناء الجامع الأزهر والقصر الشرقي الكبير والغربي الصغير وكل هذا تم بمعرفة البنائين وغيرهم من المهندسين والمشاركين في صناعة البناء ، وما أن أصبحت القاهرة عامرة بخليفة البلاد ورجال دولته من المغاربة حتى توالى وازدادت حركة البناء ، ومن ابدى أن يشيد ويبنى في الدولة الفاطمية غير أمهر صناعها من المغاربة ، ولقد اهتم الخلفاء الفاطميون ببناء القصور وتسييدها وعن ذلك يذكر المقرئى " وقد عاينت فيها أيوانا يقولون أنه بنى على قدر أيوان كسرى الذى بالمدائن مكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين القسائط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار " (١) ومما يميز صناعة البناء في ذلك العصر عدة أمور : منها أن التخطيط كان يسبق البناء حيث يقوم بذلك المهندسون حتى يتم البناء على دراية من غير خلل ، أيضا عند حفر الأساس كانوا يقومون بذلك الى أعماق قدر ممكن ليتأكدوا من عدم نداوة الأرض وخلوها الماء تماما (٢) .

كما برعوا في عمل السراييب (٣) والممرات تحت الأرض حيث كانت تصل القصر الشرقي بالقصر الغربي عبر هذه الممرات تحت الأرض .

وكان الفاطميون يزينوا جدران قصورهم بالزخارف والرسومات وكان تعيين المصورين والمتمكنين من فن الزخرفة على جدران القصور يعد من العمليات المتممه للبناء داخل القصور الفاطمية لذلك خصص أمهر الفنانين والمصورين المغاربة وغيرهم للقيام بهذه الأعمال ومنهم الفنان والمصور المغربي الذى يسمى بـ " القصير " .

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٢ .

(٢) أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٤٩ .

وعنه يقول المقرئى نقلا عن القضاءى زمن المستنصر " وقد حضر بمجلسه المصوران القصير وابن عزيز ، فقال ابن عزيز انا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط ، فقال القصير : لكن أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها داخله فى الحائط ، فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ما وعدا " (١) .

أيضا من المصورين المغاربة الذى أبدعوا فى صنعهم كان " الكتامى " (٢) المصور حيث ينسب له صورة لىوسف عليه السلام وهو فى الجب ورسم الجب كله باللون الأسود ، اذ نظره الرائي ظن أن جسمه باد من دهان لون الجب ، وهذا دليل على براعة الفنان المغربى فى العصر الفاطمى ، وأما عن طبيعة البناء فى ذلك العصر فكان البناء يتم باستخدام الأحجار والآجر والرخام (٣) ، فقد ولع الفاطميون باستخدام الرخام فى مبانيهم وحماماتهم (٤) ومن بين مهندسى الدولة الفاطمية التى كان له العديد من الأعمال والتى أدت الى تنشيط حركة البناء المهندس " ابن أبى يعيش الطرابلسى المهندس أيضا " الشيخ أبو جعفر بن حسنداي " ولاشك أن ما تركوه من آثار وأبنية إنما يعكس مدى مهارة ومقدرة البنائين والمعماريين المغاربة وتقدمهم فى صناعة البناء وما بلغه صناع الجص والرخام وغيرهم من النقاشين والمصورين المغاربة فى زخرفة القصور الفاطمية وبنائها وغيرها من المنشآت التى يفخر بها التاريخ .

(١) المقرئى : خطط ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .

(٢) المسبحى : تاريخ مصر ، ص ٢٢٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٣٢ .

(٤) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

الصناعات الغذائية :

تعددت الصناعات الغذائية في مصر الفاطمية وسوف نختص بالصناعات الغذائية التي كانت بالقاهرة والتي كان للمغاربة بصفه خاصه وللفاطميين بصفه عامه دور في صناعتها واستخدامها في ذلك العصر . ونخص دراسة الصناعات القائمه على قصب السكر والقمح والغلل .

أ - قصب السكر :

لقد إحتلت الصناعة القائمّة على قصب السكر مكانه كبيره في مجتمع القاهرة في العصر الفاطمي ، وهى الصناعة القائمّة على صنع المأكولات والحلوى التي يدخل في تركيبها قصب السكر .

وفى الحقيقه الحديث عن المأكولات والحلوى الفاطمية يطول ولاريب اذ كانت هناك دار خاصه بناها الخليفه العزيز بالله بالقرب من القصر الكبير ^(١) وهى دار الفطرة التي إختصت بصنع جميع أنواع الحلوى الفاطمية والاسمطه التي توزع فى المواسم والأعياد ، وكان يحمل الى دار الفطره الدقيق والسكر والفسنق والزبيب وغيرها من المستلزمات وكان عدد كبير من الصناع المغاربة يقومون بصنع هذه الحلوى فى دار الفطرة حيث تشد ذروة العمل فى المواسم والاعياد خاصه فى المولد النبوى الشريف .. حيث عمل الفاطميون على تأكيد نسبهم للسيدة فاطمة الزهراء اینه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وكان الاحتفال بمولد النبى الكريم صلوات الله عليه من مظاهر تأكيد نسبهم الى آل البيت الكريم فلم يدعو شيئا من الحلوى الا وصنعوها فى هذه المناسبه ومن أشهرها والتي مازلت متبعه الصنع فى مصر عمل العلائق على شكل الفارس الذى يركب حصانه والعرائس المصنوعه من السكر والتي كان يفضلها الأطفال ومايزالون ، وهذا من بين ما تتفرد به القاهرة المعزيه ومصر حتى الان .

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

وعن الحلوى المصنوعة من قصب السكر فى العصر الفاطمى فهناك العديد منها الصابونية والفسقية والزلايه المشبكه والخبائنص^(١) والقطايف وغيرها مما يدخل فى صنعها اللوز والفسق والبندق بكثرة .

ولقد شاهد ناصر خسرو عند زيارته للقاهرة شجرة مصنوعة من الحلوى أعدت للزينة وكانت كل غصونها وثمارها مصنوعة من السكر ومن المعروف فى ذلك الوقت أن هناك أنواع من السكر فمنه الأبيض وكان أقل منه درجة السكر الأحمر وكان السكر على شكل أقماع وتعددت أنواع السكر تبعاً لدرجة تكريره ونقاؤه فكان منه السكر المكرر والسكر النبات .

وفى الحقيقة أن طبيعة تقاليد وعادات الفاطميين والمخاربة التى تأثر بها الشعب المصرى من حيث تعدد أنواع الحلوى والمصنوعات الغذائية القائمة على قصب السكر جعلتهم يستفدون منه الكثير حيث يذكر القلقشندى أنه كان يحمل الى دار الفطرة بالقاهرة اربعمائه قنطار^(٢) من السكر وكان من رسوم الدولة الفاطمية - توزيع الحلوى فى الأعياد على رجال الدولة من اصحاب العمامت والسيوف وغيرهم كل حسب درجته .

(١) مفردھا خبيصه وهى الحلوى المصنوعة من الدقيق ودهن اللوز ، مخطوط بدار الكتب ، رقم ١٠ : صناعات .

(٢) القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٤٧٠ .

ب - صناعة الخبز :

لم تقتصر صناعة الخبز على ما هو مصنوع قبل قدوم الفاطميين الى مصر بل تعددت المأكولات المصنوعة من الغلال المطحونه ، ومنها ما شاع صناعته فى العصر الفاطمى من الكعك أو كما كان يطلق عليه فى ذلك العصر بالكعكا وهو نوع من الخبز الجاف يصنع من جريش الحنطة وكان هذا النوع يتزود به رجال الاسطول الفاطمى ، ولقد كان الكعك هذا كثير الاستخدام على موائد الخلفاء والمغاربة ، كذلك لم يقتصر عمل الأفران على صنع المخبوزات ليبيعهها فى الأسواق بالقاهرة بل كانوا يصنعون لمن يرغب من الناس ما يعرف بخبز البيت فكانوا يقومون بخبز الدقيق لاصحابه مقابل أجر معين ، كما كان من المأكولات التى تصنع ما هو معروف بالخشكناج^(١) والذى يصنع من دقيق السمير بحيث يعجن مع السكر واللوز المقشور وقليل من ماء الورد .

و خلاصه القول أن الخبازين المغاربة كانوا من بين أهم الصناع فى القاهرة الفاطمية لأهمية ما يصنعون وغيره من مستلزمات الحياة اليومية تلبية لاحتياج السكان فضلا عن مطالب القصور الفاطمية لأنواع المخبوزات وغيرها من المأكولات التى تقوم على وجود الغلال ولقد عمل الفاطميون على إنشاء الاهراء السلطانية التى كانت تزود بالغلال من جميع انحاء البلاد وكان موقعها فى القاهرة خلف القصر الفاطمى ومن هذه الاهراء كانت توزع الحبوب على الطواحين لطحنها وتسلم بدورها الى الخبازين ليقدموا أقصر أنواع المخبوزات الفاطمية .

(١) السيزرى : نهايه الرتبة - ص ٤١ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٧٩ ، الاهراء ، بمعنى مخازن الغلال .

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٤) القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

دور المغاربة فى التجارة

أ - التجارة الداخلية :

ذخرت القاهرة المعزيه بسلع ومنتجات مختلفة تعرض فى أسواقها فى العصر الفاطمى ، فقد كان ذلك حديث العالم فى ذلك الوقت يقصده العديد من المشترين والتجار من جميع البلدان . وذلك لم يكن من فراغ ولم يتم بين يوم وليله ولكن كان ذلك على مراحل ووفقا لجهد مبذول من قبل الرواد المغاربه سواء التجار منهم أو ممن شارك فى تأسيس القاهرة من البداية فكان جهدا مشكورا نتج عنه هذه المدينة العامرة ، بأسواقها وخيراتها ، وفى البداية كان سوق القاهرة على نطاق ضيق وكان المشترون من سكانها هم القواد والعسكريين وكان تباع فيه المتطلبات البسيطة والتي قد لا تفى بالاحتياجات اذا ما قورنت بسوق الفسطاط فى بداية تأسيس القاهرة ، ولكن بعد التوسع واكتمال حركة البناء والتشييد ، بدأ النشاط الحقيقى لأسواق القاهرة ، ومن ثم منافسة سوق الفسطاط بل الى أبعد من ذلك لتنافس أسواق البلاد من حولها ، " فكان بالقاهرة وأسواقها مالم يكن يسمع عنه أحد " (١) .

وعن أسواق القاهرة يذكر ناصر خسرو الذى زار القاهرة فى القرن الرابع الهجرى " أن الفاطميين بنوا فى القاهرة ما لا يقل عن عشرين الف متجر كان ايجار كل منها عشرة دنانير " (٢) . وكانت الأسواق فى ذلك العصر أهم ما يميزها أنها تقع بالقرب من المسجد الجامع وهذه من عادات المدينة (٣) الاسلامية فكانت الأسواق تحيط بالجامع الأزهر حتى اذا تم الناس صلاتهم فيشترون ما يحتاجون دون مشقه ، وتيسيرا للانتقال وجدت على نواحي هذه الأسواق الحمر المسرجه عليها براذع مزينه لتكون فى طلب من يريد الركوب (٤) ،

(١) المقرئزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٨ .

(٣) المقرئزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٧٥ .

(٤) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الاسلامية ، ص ٨١ .

وهذه الوسائل تتفق وحارات المدينة التى كانت شوارعها فى معظمها عبارة عن شوارع ضيقة أو أزقه ، ومن معالم أسواق القاهرة الفاطمية أن كل سوق كان ينفرد بالاتجار فى نوع محدد من السلع فكان هناك سوق للشماعيين والسيوفيين والمغربليين والنحاسين والشعرانيين أو السروجيين وسوق الحريريين والوراقين وسوق الزجاجيين والقشاشين وسوق الفاكهة والطيور وسوق الحدادين وسوق أمير الجيوش ^(١) وغيرها الكثير من الأسواق .

ولقد تركزت أهمية أسواق القاهرة عقب حريق الفسطاط ^(٢) فبذلك أصبحت القاهرة واسواقها المركز الرئيسى للتجارة وعن أسواق القاهرة ذكر المقرئى " وتحتوى مصر والقاهرة ... القياصر المعمورة بأصناف الأنواع والأسواق مملوءة بما تشتهى الأنفس والخانات المشحونة بالواردات والفنادق الكاظة بالسكان ^(٣) .

ومن أنواع الأسواق ما كان يسمى بأسماء الحرف مثل درب الديباج وسوقه دار النحاس وقيساريه الحلوى وقيساريه الصبانه ومساطب يرسم الخياطين وسوق الصباغين والزياتين وغيرهم ^(٤) .

(١) يقع سوق أمير الجيوش بين ظهر المنحدر وباب حارة برجوان وفى عصر المقرئى أصبح مكانه عند باب حارة برجوان بالقرب من الجامع الحاكمى ، المقرئى - خطط - ج ٢ - ص ٣٦٣ .

(٢) لقد أمر الخليفة بحرق الفسطاط خوفا من الزحف الصليبي الى القاهرة ، ولقد استمر الحريق فترة كبيرة اذ يقال انها استمرت أربعة وخمسين يوما كاملاً ، المقرئى: المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٣) نفس المصدر والجزء - ص ٣٦١ .

(٤) ابن دقماق : الانتصار - ج ١ ، ص ١٤٢ .

وأشار المقرئى أن فى أسواق القاهرة عريف^(١) لأرباب كل صنعه يتولى أمرهم فللصباغين مثلاً عريف يتقدم عليهم ويكون شيخهم وله تلاميذه وصبيانهم ويرجع اليه الصباغون فى حرفتهم . وحقيقة الأمر أنه بالرغم من الدور الواضح للمغاربة فى التجارة فإن مصادرنا لم توضح ذلك بشكل دقيق ، كانت الأخبار متفرقات عابره عند ذكر الأسواق أو بعض الصناعات مثال ذكر اسم الصباغ المغربى الذى يمتلك مصبغه فى سوق القاهرة وهو " عروس بن يوسف " وما كان لعروس من دور كبير فى التجارة . وخاصة التجارة الخارجية . وكانت أسواق القاهرة مسقوفة وغير مسقوفة فالأسواق المسقوفة تسمى بالقياسر ، وكانت أسواق القاهرة تضاء ليلاً ونهاراً بالمصابيح خاصة وأن الأسواق المسقوفة قد تحجب ضوء الشمس ، والدارس لأسواق القاهرة يستمتع بعرض المؤرخين لأسواقها ومتاجرها وكأنه يشم عبير العصور الفاطمية من بين السطور ، ليثعر بمدى الثراء والعظمة التى كانت عليها أسواق هذه الدولة .

ولقد كان لكل مدينة فى العصر الفاطمى أوطانها الخاصة التى تتعامل بها عند الوزن، فكان فى القاهرة يتعين على التجار أن يتخذوا الأبطال والأوزان من حديد وليست من الحجارة^(٢) .

وإذا كانت تلك أحوال سوق القاهرة من نشاط ورواج فذلك لا يمنع من وجود فترات من الكساد التجارى داخل سوق القاهرة فكان سبب ذلك قد يجتمع فى انخفاض منسوب النيل والفتن الداخلية بين طوائف الجبذ أو حالات عدم الاستقرار فكان إذا غاض النيل تعطلت الزراعة التى هى عماد الحياة الاقتصادية خاصة فى العصر الفاطمى فلا غلال ولا حبوب

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

يشير القلقشندى الى الحرفيين ويذكر أن هناك كان ما يمكن تسميته بنقابه الحرفيين والتى يرأسها شيخ هذه الصنعة - انظر صبح الأعشى - ج ٣ - ص ٤٨٥ .

(٢) المقرئى : الخطط - ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

أبو المحاسن : النجوم ، ج ٣ ، ص ٤٣٢ .

كانت وحدة الوزن فى مصر قبل العصر الفاطمى هو الرطل وهو " مائة وأربعة وأربعون درهماً "

وأوقيته إثني عشر درهماً ومنه يتفرع القنطار المصرى وهو مائة رطل . القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ .

فتضطرب لذلك اقتصاديات البلاد وما بها من أسواق فيعم الجوع والفقر ، وهناك عوامل سياسية تتدخل فى مجرى الأحوال الاقتصادية وذلك ما حدث بالفعل ^(١) بين القواد والجنود المغاربة وطوائف الجند الأخرى فى الدولة الفاطمية مثل الأتراك وفى تلك الفترة قد قامت القاهرة كثيرا من أعمال النهب التى أعقبت تلك الصراعات مما أثر على سوق القاهرة واقتصادها هذا بالإضافة الى سنين الشدة المستتصية المعروفة حيث كادت تعصف بالناس من الجوع فعم الخراب فى الأسواق وتعطلت العديد منها مدة ٧ سنوات وكان نقصان النيل وإنعدام المخزون سببا فى المجاعة والفقر ^(٢) .

ولقد عانى من ذلك كل سكان القاهرة بجميع درجاتهم ، فنسمع عمن يتنازل عن منزله مقابل ربع متقال من الدقيق وأخرى سيدة تبحث فى الأسواق لتبيع ^(٣) حلى تمتلكها مقابل حفنة من الغله .

وأمثال عديدة توضح مدى ما وصل اليه رجال القصر من قلة المون ، حتى سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، وقد مرت تلك الشدة وبدأ النشاط يدب فى البلاد وفى أسواق القاهرة واقتصادها من جديد ^(٤) ، وإن كان ما سبق فى عهد المستنصر قد حدث فى عهد الخليفة الظاهر ولكن ليس يمثل تلك الشدة وإن أعقبها بعض فترات الكساد ولكنها لم تستمر طويلا ، فقد شهد الرحالة وشاهدى العيان من المؤرخين ما لأسواق القاهرة من تقدم وازدهار حيث زخرت بما يبهى الرائي .

(١) نجح الوزير اليازورى فى أن يسيطر على قنن الاحزاب والطوائف فى القاهرة .

Lanepoole, the story of- cairo, p. 120.

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنقا ، ص ٧٢ .

(٣) للمصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) على يد الوزير بدر الجمالى أمير الجيوش وهو من اصل أرمنى .

فقد اهتمن التدهور والمجاعة بالفتن الداخلية بين صفوف الجند .

المقرئى : اغاثه الامه ، ص ٧٤ .

ولقد كان للمحتسب دور هام فى أسواق القاهرة ، خاصة وأن وظيفة المحتسب كانت رفيعة الشأن ويحظى المحتسب بتقدير الكل ، حيث يلقب " بالشيخ" ^(١) وكان مقر المحتسب فى دار الحسبة بالقاهرة وكان يجلس بدكه الحسبة ^(٢) ، ومن المعروف أن للمحتسب مهام عديدة فى أسواق القاهرة وكان له أعوان يراعى فيهم الأمانة والخبرة بأمور الصناعة والتجارة ليكونوا على دراية تامة بما يشرفون عليه ، وكان على المحتسب وأعوانه أن يراقبوا الأسواق وما يتم بها من عمليات ^(٣) للبيع والشراء ، والتأكد من سلامة المعروض وسلامة الكيل والميزان ، وبأمر التجار بالامانة عند البيع وبنهاهم عن الغش ^(٤) ، وكان للمحتسب أن يقوم بتحديد وتعيين مكان كل صنعة على حدة وإيعاد صاحب الصنعة التى يستخدم فيها النار أو ما شابهه عن التجارات التى قد يتضرر أصحابها مثل تجارة العطارة والتوابل ، وأيضاً تحديد مكان مخصص لكل صنعة يفيد فى الإشراف ومراقبه الأسواق ^(٥) فكانت وحدة السوق هذه تحد من جشع التجار فالمشتري يمكنه أن يختار ما يحلو له من سلع فإذا مالم يحصل عليها من الأول سيجدها عند الذى يليه وبسعر أفضل وإن كانت وحدة السوق تجعل من المشتري لمشتريين أو ثلاثه أن يطوف بالسوق شرقاً وغرباً للحصول على ما يريد .

ولقد حافظ المحتسب خاصه المغاربة منهم فى العصر الفاطمى على انضباط السوق والتزام الماره بالحشمه والوقار مع عدم السماح للتعرض للنساء أو مضايقتهن ^(٦) أثناء وجودهن فى السوق ^(٧) .

(١) القلقشندي : صبح ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

سهام أبوز زيد - الحسبة فى مصر الاسلامية - ص ١٠٧ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٣ .

(٣) ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة - ص ١٣ .

(٤) احمد شلبى : السياسة والاقتصاد فى الفكر الاسلامى ، ص ١٨٢ .

(٥) المقرئى : خطط ، ج ١ ، ص ٤٦٣ .

(٦) ابن الأخوة : معالم ، ص ١٣٦ .

(٧) جاستون فيت - القاهرة ، مدينة الفن والتجارة - ص ٦٣ .

وأيضاً كان ينهى الخياطين عن الغش وكذلك الصباغين عند غشهم للمواد الخاصة بالصباغة ففي بعض الأحيان يقومون بصباغة اللون الأحمر بالحناء بدلاً من الفوه^(١) فيخرج الصبغ حسناً حتى إذا أصابته الشمس تغير لونه ، فكان للمحتسب دور هام وبارز في حركة التجاره وقد خول له الخليفة هذه السلطة والتي تجعله يسيطر على السوق والتجار والمترددين عليه .

وكان المحتسب أيضاً يأمر أصحاب المتاجر وخاصة من تقوم تجارتهم على السلع الغذائية بنظافة المكان والمعرض وما يقدم من أطعمه مثل الجزارين وأصحاب متاجر بيع الحلوى حيث كانت توضع في أوانى نحاسيه مغطاه دليلاً للنظافة ، كذلك يأمر أصحاب الطواحين بإزالة ما علق بها من شوائب^(٢) وكان ما تقع عين المحتسب على أى من غش في الكيل أو قيام التجار بأى نوع من أنواع التلاعب والاهمال فكان للمحتسب الحق في تنفيذ العقوبات عليه فكان يعاقب إما بالجلد أو التعزير^(٣) أو الإيقاف لمدة محددة ، ليكون عبره لمن تسول له نفسه بالغش والاهمال ، ليعم الأمن والحذر داخل أسواق القاهرة .

ومن أحوال التجار المغاربه داخل سوق القاهرة أنهم كانوا يتفقون على أسعار السلع التى يبيعونها وذلك لحمايه أنفسهم من خطر المناقسه اذا ما تباينت الأسعار بشكل كبير^(٤) وكانت الدولة الفاطمية لاتتدخل في تحديد الأسعار الا فى أسعار القمح والخلال وإن كانت قد تحدد الأسعار فى وقت الأزمات^(٥) .

(١) سيد طه : الحرف والصناعات - ص ٤٠ .

(٢) ابن الأخوة : معالم ، ص ١٥٢ .

(٣) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) المبكى : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٥) سيد طه - للمرجع السابق ، ص ٤٠٦ .

ومن أحوال السوق التجاريه فى القاهرة فى العصر الفاطمى أنه من الصعب عند الدراسة الفصل بين التجارة والصناعة حيث تشير وثائق الجنيزه الى عقود تمت لشركات لتصنيع وبيع السلع ^(١) فهى بذلك تضم التجارة والصناعة معا .

ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن التاجر المغربى فى العصر الفاطمى كان مكسبه من المنتج الذى يبيعه أضعاف ما كان يكسبه الصانع لنفس المنتج حيث كان التاجر يعتمد على حاجة الناس وإقبالهم على السلعة وفقا للعرض والطلب خاصة عند صعوبة الحصول عليه فى وقت الأزمات فكان يمكن للتاجر أن يفرض السعر الذى يريده وان كان ذلك شىء مرفوض .

وهكذا كانت أحوال السوق فى القاهرة الفاطمية حيث الحركة والنشاط وأن تخللها بعض الكساد ولكن سرعان ماتبدأ بالانتعاش فى عصر اختص بالترف الثراء .

العملة المتداولة فى سوق القاهرة :

يتعين علينا عند دراسة أسواق القاهرة ذكر لغة التعامل بها وهى الدينانير الفاطمية أو العملة المتداولة .

فكانت الدينانير الفاطمية والدرهم والفلوس ^(٢) هى العملة المتداولة فى العصر الفاطمى ، حيث حرص الفاطميون منذ دخولهم الى مصر على نشر سكتهم إذا أنها تمثل سلطة الخلافة الفاطمية فى البلاد .

(١) جواتين : دراسات فى التاريخ الاسلامى - ص ١٨١ .

(٢) مفرداها فلس : وهى العملات الصغيرة مثل الخرايب ، المقريزى : الخطط - ج٢ - ص ٣٨٥ .

ومن ناحية أخرى مظهراً من مظاهر المنافسه للخلافه العباسيه وكذلك وسيله من وسائل الترويج للذهب الشيعي الفاطمي نظراً لأن كافة الناس يتداولونها في معاملتهم التجارية ، لذلك حردس الفاطميون منذ بداية عهدهم على أن عيار الدينار الفاطمي المعزى قدره ٢٣ قيراط ، وهو أعلى عيار للدنانير لينافس عيار الدينار الراضى العباسى . وكان الدينار يساوى ١٥ ١/٥^(١) درهماً فى ذلك الوقت .

ومن الجدير بالملاحظة أن دنانير الخليفه المعز لم تختلف من حيث الشكل أو المضمون عن دنانيره التى ضربها ببلاد المغرب فهى تتألف مثلها من ثلاثه هوامش دائرية عليها كتابات كوفيه محصورة داخل ثلاث إطارات دائرية أخرى تتوسطها نقطة بارزة لضبط كتابات الهوامش التى تحمل عبارات التوحيد والرسالة المحمدية وعلان نسب الفاطميين الى آل البيت والمناداة بأحقية على وأبناءه من بعده بالخلافه ، ولقد اهتم الفاطميون بضرب العملات التذكارية من الدنانير أو أجزاءها من أنصاف أو أرباع الدنانير خاصة فى المناسبات فكانت هناك ما تسمى بدنانير الغرة^(٢) لتوزع أول العام الهجرى ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بدينار بإسم الخليفه المعز لعام سنه ٣٦٠ هـ / ٩٦٦ م وربيع دينار باسم الظاهر - سنه ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م^(٤) .

(١) مايسه محمود : المسكوكات ، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) المقرئى : خطط ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

عبد الرحمن فهمى ، موسوعة النقود العربية ، ص ٤٥١ .

(٤) سجل رقم ٢١٩٤٠ - متحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

أما عن الفلوس الفاطمية فيحتفظ متحف الفن الاسلامى بمثال نادر للفلس الفاطمى الذى يرجع الى عهد (١) المعز لدين الله .

حيث استخدمه الناس فى المعاملات التجارية البسيطة داخل سوق القاهرة ، وتشير دراسة السكه الفاطمية فى عهد الظاهر الى عدم وجود الفلوس أو العملات المساعدة وظهر على دنانيره كلمة " عال وغايه " لتفيد الجودة والدقة فى الوزن وهذا يوضح ما كان من غش فى العيار بسبب بعض الاضطرابات الاقتصادية فى عهد الظاهر أو التلاعب فى وزن العيار لذلك لجأت الحكومة الفاطمية الى تشديد الرقابة على دور الضرب بالقاهرة وإثبات كلمة عال وغايه على الدنانير كما نجدها فى دنانير الخليفة المستنصر (٢) .

ولقد اهتم الخلفاء الفاطميون فى العصر الفاطمى الثانى بضرب النقود من الدنانير والدرهم ولكن كان الوزن والعيار أقل من بداية الحكم الفاطمى .

(١) محفوظ فى متحف الفن الاسلامى - سجل رقم ٦٧٢٤/٣ مسلسل ١٣٣ .

(٢) لقد حاول الصليبيون محاكاة الدنانير الفاطمية وإن جاء هذا التقليد ممسوخا عندما قلدوا الكتابه العربية واسم المستنصر لعدم درايتهم باللغة العربية وقد كان هذا التقليد سابقا للوقت الذى حدد فيه الصليبيون ممتلكات الدولة الفاطمية فى الشام ، أحمد مختار العبادى: دراسات فى التاريخ العباسى والفاطمى - ص ٨٧ .

ب - التجارة الخارجية :

إنتعشت التجارة فى القاهرة فى العصر الفاطمى حيث يقيم الامراء والأعيان المغاربه ومشايخهم فكثرت توافد التجار للقاهرة وكانت هناك عوامل عديدة ساعدت على ازدهار التجارة الخارجية فى القاهرة فى العصر الفاطمى منها موقع مصر الجغرافى المتميز الذى يتوسط العالم كما هو معروف ، وأيضا عوامل أخرى متمثلة فى عناية الخلفاء الفاطميين بالتجارة الخارجية واهتمامهم بالأسطول التجارى لنقل البضائع والتجارات من القاهرة الى جميع البلدان فى الشرق والغرب فكانت توصيات الخليفة المعز لأمرائه وأعوانه المغاربه بسرعة إنشاء أسطول بحرى ضخم يستفاد منه فى التجارة الخارجية . وتنفيذا لذلك كان إنشاء مرسى ومقر الاسطول الفاطمى " بالمكس " أو كما عرف بحوض المكس بالنيل بالقاهرة التى كانت تطل على حوض المكس أو المقس ^(١) .

فقد كانت القاهرة ولا تزال بموقعها الممتاز وسهولة اتصالها موقعاً تجارياً هاماً وخاصة وأن مجرى النيل يعتبر مجرى صالح للملاحة معظم فصول السنه ليكون الطريق الرئيسى لنقل البضائع من القاهرة عن طريق المكس المطل على النيل فى ذلك العصر ^(٢) لتأخذ التجارات طريقها يراً وبحراً للشرق أو للغرب .

كما أن هناك دور قام به المغاربه كان له الأثر الكبير فى ازدهار التجارة الخارجية فى القاهرة فعندما تم إنشاء دار الصناعة بالمقس كان متولى دار الصناعة مغربى وكان الاهتمام الخاص لبناء السفن اللازمة فى التجارة الخارجية ^(٣) .

(١) المقس فى الأصل هو قرية أم دنين وكان المكس مكان تجمع فيه المكوس نعرف بها - وكان يطلق على العاملين بالاسطول للفاطمى " المجاهدون فى سبيل الله " (الغزاة لأعداء الله) ويسمى الواحد منهم الاسطولى . عن ذلك انظر المقرئى : الخطط - ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٢) المنأوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ، ص ١٩٢ .

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

ويذكر المقرئى ما يفيد بأن المعز لدين الله أنشأ فى دار صناعة المقس ستمائه مركب لاستخدامها فى التجارة الخارجية فكان الاهتمام ببناء السفن للتجارة الى جانب الاهتمام الاول لاستخدامها فى الجهاد فى سبيل الله .

وزيادة فى وصف ضخامه دار الصناعة اللازمة فى تشييط التجارة الخارجية يذكر المقدسى " وكنت يوما أمشى على الساحل وأعجب من كثرة المراكب السائرة ، فقال لى رجل منهم من أين أنت قلت من بيت المقدس ... أعلمك يا سيدى .. إن على هذا الساحل وما أقلع منه الى البلدان والقرى من المراكب ما لو ذهب الى بلدك لحملت أهلها والاتها وتجارته حتى يقال كأنها هنا مدينة " (١) .

أنواع الصادرات :

اشتهرت القاهرة بالمنتجات الصناعية التى لها رواج فى التجارة الخارجية وكانت صناعة النسيج من اشهر البضائع التى لها اقبال كبير لدى جميع البلدان فى الشرق والغرب وأن كميات كبيرة من النسيج المصنوع فى القاهرة ذو الاتقان والجودة والمتأثرة فى بعض الأحيان بالطابع المغربى خاصه فى المنسوجات الحريرية ، ويرجع ذلك الى تشجيع الخلفاء الفاطميين لهذه الصناعة وذلك بالاستفادة من المهارات المغربية لتحسين المنتج وبالتالى استغلال الفائض عن حاجة السوق المحلية فى التبادل التجارى (٢) . وأيضاً كانت العناية بدور الطراز (٣) بالقاهرة حيث خصص لصاحب الطراز وكان من المغاربة سفينه لتتقلته بين دور الطراز فى جميع البلدان حتى يكون على دراية بأحدث ما توصلت اليه فنون النسيج طلباً فى رقى المنتج الفاطمى . وكان متولى الطراز من أرباب العمائم والسيوف (٤) وكان له حق الاشراف على جميع دور الطراز العامة والخاصة .

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٨ .

(٢) سيد طه : الحرف والصناعات ، ص

(٣) المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٢٣ .

(٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .

والى جانب تسويق المنسوجات من القاهرة هناك العديد من المنتجات منها
المصنوعات الفنية الخشبية ذات النقش والحفر على الخشب أيضا المعادن مثل الشب
والنظرون والزمرد بأنواعه خاصة النوع المسمى " بالمغربى " الذى كان يلقى استحسانا لدى
الروم على غيره من سائر الجواهر (١) .

وتؤكد وثائق الجنيزة أن مجموعات من الأقمشة الحريرية (٢) وأنواع مختلفة من
الزجاج كانت تصل من القاهرة الى بلاد الهند فى العصر الفاطمى الى جانب المنتجات التى
كانت تخرج من القاهرة للتجارة الخارجية والتى من الممكن أن تكون خاماتها من بلدان
أخرى ولكنها تصنع بالقاهرة وتسوق على شكل منتج مصنع بالقاهرة (٣) بمعنى أنه اذا كانت
القاهرة تصدر مثلا تحفا فنية مصنوعة من البلور فذلك بعد استيراد المواد الخام من بلدان
يكثر فيها البلور مثل المغرب .

الطرق التجارية :

كانت هناك عدة طرق تجارية تستخدم فى نقل تجارة القاهرة وهى :

- ١ - موانئ البحر الأحمر التى تصل اليها تجارة الهند واليمن والخشب ببضائعهم المختلفة
من البهار والجلود والعطور وأنياب الفيل " العاج " فكان ميناء عيذاب من أهم
موانئ البحر الأحمر فيصف المقرئى عيذاب بأنها من أعظم مراسى الدنيا (٤) ،
وكانت التجارات التى تصل الى عيذاب تنتقل من القاهرة عن طريق النيل بحوض
المقس ، فالفسطاط حتى مدينة قوص ثم تأخذ طريقها الى عيذاب برا ثم تحمل

(١) المسعودى : مروج الذهب تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط بيروت - ج ٢ - ص ٢٢ .

(٢) جواتين : دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ترجمة عطيه القوصى ، ص ١٠ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ١٠٣ .

(٤) المقرئى - الخطوط - ج ١ ص ٢٠٢ .

المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٤ .

ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٨٣ .

البضائع للبحار بها الى الهند او اليمن وتتم هذه العملية الخاصه بالنقل فى حوالى عشرة أيام وكان التجار المغاربه يفضلون هذا الطريق ، طريق عيذاب البحر الاحمر نظرا لقصره ووصول البضائع مسرعه من تجارة الشرق الاقصى^(١) .

٢ - القاهرة - دمياط :

وكان هذا الطريق عبر نهر النيل من فرعه الشرقى الذى يعرف بفرع دمياط ومن ثم بعد أن تصل التجارة من القاهرة الى ميناء دمياط وتتجه البضائع الى السفن لتسوقه فى بلاد الروم والدول الاوربية .

٣ - طريق من القاهرة للاسكندرية عن طريق النيل عبر خليج الاسكندرية .

٤ - طريق برى من القاهرة الى القرما ليصل الى القلزم ، وكانت البضائع والتجارة الواردة من الغرب الى الشرق تأتى القرما حيث تحمل منها على ظهور الدواب الى القلزم على البحر الأحمر ثم يركبون البحر الى الهند والصين^(٢) . وكانت القرما تبعد عن القلزم بحوالى ٢٥ فرسخا^(٣) . وفى أحيان أخرى يستخدم نفس الطريق للوصول الى موانئ الشام وأنطاكية أو من القرما الى القسطنطينية مباشرة .

٥ - طريق تجارى - القاهرة دمياط عن طريق النيل ثم تحمل التجارات لتتخذ طريقها فى البحر الابيض المتوسط الى القسطنطينية مباشرة .

٦ - طريق بحرى من المهدية فى تونس الى ميناء الاسكندرية وتحمل البضائع الى دمياط لتستكمل الطريق عبر البر للقاهرة والعكس صحيح حتى تستأنف الرحلة سيرها الى ميناء تنيس لتبحر الى موانئ الشام لتصل الى القسطنطينية^(٤) .

(١) أحمد دراج ، عيذاب من الموانئ الاريقية ، ص ٦٠ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) ٧٥ ميلاً - ٢٥ فرسخاً .

(٤) عفيفى محمود ابراهيم : أحوال بلاد المغرب ، ص ١٩٥ .

٧ - طريق بحرى اخر من ميناء الاسكندرية . الى بلاد المغرب وذلك دليل على أهمية ونشاط التجارة الخارجية فى القاهرة الفاطمية مع بلاد المغرب وذلك يرجع الى دور المغاربة فى القاهرة فى العصر الفاطمى حيث كان عدد كبير منهم مساهماً فى تنشيط التجارة الخارجية مع بلاد المغرب وايضا مع باقى الدول الاوربية وبرز من بينهم تاجر مغربى يدعى " عروس بن يوسف " مقيم بالقاهرة الفاطمية وهو مغربى الأصل من " المهدية بتونس " والى جانب التجارة كان فى الأصل صانع للصبغة الخاصة بالمنسوجات وله شهرة فى التجارة الخارجية خاصة مع الدول المطلة على البحر الابيض المتوسط ذلك ما تؤكد وثائق الجيزة (١).

٨ - طريق برى من القاهرة للشام فحلب ثم أنطاكية حيث كان من الطرق التجارية الهامة بالنسبة للتجارة الخارجية اذا ما روعى موقع القاهرة ، فقد كانت البضائع تحمل لتخرج من القاهرة برا الى بليس فالفرما والعريش ثم الرمله فطبريه ومنها الى دمشق (٢) ثم تتجه البضائع الى حلب وأنطاكية و كان ذلك يستغرق مدة طويلة للوصول بالتجارة فقد كان هو الطريق البرى الأكثر استخداما فى العصر الفاطمى للتجارة الخارجية ولأهمية هذا الطريق اتخذ البيزنطيون عامل ضغط على التجاره مع المسلمين (٣) .

(١) جواتين : دراسات فى التاريخ الاسلامى : ترجمة عطيه القوصى ، ص ١٦ .

المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٢) المقريزى : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) كانت عندما تسوء العلاقات بين الدولة الفاطمية والبيزنطية وكان البيزنطيون يحاولون الاستفادة من

هذا الطريق البرى لصالح التجارة البيزنطية خاصة عندما عقد البيزنطيون معاهدة حلب سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، فكان لبيزنطة الحق بموجب المعاهدة الحصول على ضريبه العشور عن كل

تجارة تصل الى حلب ، الانطاكى : تاريخ رحلة بن سعيد الانطاكى ، ص ١٣٤ .

وأيضاً من أهم ما يميز طرق التجارة البرية في ذلك الوقت أن طرق التجارة البحرية في أغلب الأحوال لها مواعيد للإبحار مرتبطة بحالة البحر نفسه .
وعن مواعيد الإبحار بالسفن في البحر يذكر المقرئ في أن شهر " برمهاث " (١)
تجرى المراكب في البحر الى ديار مصر من المغرب والروم " (٢) .

أهم الموانئ والمراكز التي تمر بها طرق تجارة القاهرة :

بعد عرض أهم الطرق التجارية للقاهرة لتعبر من خلالها لتصل الى الشرق والغرب كما سبق وأوضحنا ، نود أن نلقى الضوء على بعض الموانئ التي تعبر من خلالها تجارة القاهرة الخارجية .

١ - ميناء عيذاب :

وهو من أهم موانئ البحر الأحمر في العصر الفاطمي فتصله بضائع مختلفة من تجارة الهند والصين في الشرق الأقصى وتجارة اليمن والحبشة فكان يصل من الهند والصين البهار والجلود والعطور والأصباغ والألوان المستخدمة في صباغة المنسوجات وغيرها من تجارة الشرق ، كما كان يصل من الحبشة الجلود وأنياب الفيل " العاج " .
وعن ميناء عيذاب يذكر المقرئ أنها من أعظم مراسي الدنيا (٣) .
وكانت التجارات التي تصل الى عيذاب تنتقل كما سبق وأوضحنا الى القاهرة عن طريق عيذاب فمدينة قوص (٤) ثم تحمل البضائع (٥) لتتجه عبر النيل الى ميناء أو حوض المكس بالقاهرة .

(١) برمهاث : من الشهور القبطية ويعتبر هذا الشهر نهاية لفصل الشتاء وبداية الربيع حيث يبدأ فيه

البحر بعد عواصف الشتاء . المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٢) نفس المصدر والجزء ص ٢٧١ .

(٣) المقرئ : الخطط - ج ١ - ص ٢٠٢ .

(٤) قوص من مراكز محافظة قنا بصعيد مصر .

(٥) كان ثراء عيذاب سببه الأول التجارة والتبادل التجاري - المقرئ - خطط - ج ١ - ص ٢٠٣ .

٢ - الفرما :

عن الفرما يذكر المقدسى^(١) بأنها " مجمع الطرق " إذ تصلها تجارة القاهرة المتجهة الى موانئ العالم ، فكانت البضائع تأتي من القاهرة بالبر على ظهر الدواب حتى تصل الى القلزم ثم تحمل في السفن عبر البحر الأحمر متجهة الى بلاد الحجاز واليمن والهند والصين^(٢) ولايفوتنا أهم قافلة على الاطلاق كانت تتطلق من القاهرة الى بلاد الحجاز^(٣) في العصر الفاطمي وهي قافلة " المحل " أو كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة فكان للخليفة الفاطمية المبادرة في إرسال كسوة الكعبة من القاهرة والتي تم صنعها في دار الكسوة بالقاهرة^(٤) وأشرف عليها المغاربة من حيث الصنع أو الرقابة . وكان من يريد الذهب من القاهرة الى مكة في بلاد الحجاز يلزم الاتجاه الشرقي ، فاذا بلغ القلزم وجد طريقين احدهما بحري والاخر برى وكان الوصول الى مكة من الطريق البري يستنفذ حوالى ١٥ يوما ، ومن هذا الطريق تذهب معظم قوافل الحج من القاهرة أو القادمة من بلاد المغرب ومارة بالقاهرة في طريق رحلة الحج .

٣ - دمياط :

برزت أهمية دمياط كمركز لطرق تجارة القاهرة في العصر الفاطمي خاصة فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط وترتبط بفرع النيل المسمى بفرع دمياط وهذا ييسر على تجارة القاهرة استخدام هذا الطريق لتنشيط التجارة الخارجية في ذلك العصر .

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٥ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٨٤ .

(٤) المقرئى : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ .

فكان يصلها تجارات من بلاد الروم على ظهر السفن الكبيرة المحملة بالتجار والبضائع للبيع والشراء ^(١) لتصل هذه البضائع للقاهرة عن طريق النيل لترسو في حوض المكس ، فيذكر المقرئى " لقد بنى المعز حوضاً فى المكس لترسو فيه السفن " ^(٢) ليصبح حوض المكس المطل على نهر النيل بالقاهرة أكثر أحواض نهر النيل إنخفاضاً عنه فى الروضه والفسطاط ، ولقد بقيت المكس ترسانه القاهرة وميناءها حتى ظهرت بولاق حينما غير النيل مجراه ^(٣) ، ولقد رأى ناصر خسرو كشاهد عيان عند زيارته للقاهرة بعض السفن الراسية فى المكس ويذكر أن طول الواحدة كان يبلغ ٢٧٠ قدماً وعرضها حوالى ١١٠ قدماً ^(٤) وإذا كان ذلك الطول سليماً فإنه يعنى ضخامة السفن وسعة المكس كميناء على استيعاب مثل هذه السفن .

٤ - الاسكندرية :

على مر العصور والأزمنة يبقى للاسكندرية التميز والأهمية فكانت ولا تزال بموقعها المطل على البحر الأبيض ترد إليها البضائع الواردة والصادرة الى البلاد المطله على البحر المتوسط ومما زاد فى أهمية الاسكندرية كميناء هو اتصالها بالخارج عن طريق البحر وبالداخل عن طريق النيل ثم لتصل للقاهرة عبر المكس ^(٥) المطل على النيل ، وكانت البضائع والتجارات القادمة أو المسافرة للقاهرة عبر الاسكندرية ^(٦) تتعامل مع دول أوروبا مثل البندقية وجنوه وغيرهما أيضاً لتوسط موقعها الجغرافى كانت قريبه من بلاد المغرب فيصلها تجارته وبضائعه .

(١) ابن ممتلى : قوانين اللداوين ، ص ٢٢٥ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٨٣ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) ناصر خسرو : نفس المصدر والصفحة .

(٥) عن المكس أو المقس : هو مكان تجبى فيه المكوس فسمى وعرف بالمكس وهو فى الاصل قرية

يقال لها أم دنين كانت قبل تأسيس مدينة القاهرة سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م المقرئى : الخطط ، ج ١ ،

ص ٣٥٨ ومابعدهما .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٤ .

ويجب توضيح أهمية دور الخلافة الفاطمية في تأمين طرق القوافل التجارية لحمايتها ولسلامه وتأمين التجارة والبضائع إذ لم تتأخر أو تهدأ في تأمين الحدود أو المناطق التي تمر من خلالها التجارات الى الجهة المقصودة ، وإن كان هناك ما قد وقع من حوادث سطو أو اعتراض لبعض القوافل التجارية فإن ذلك كان في اضيق النطاق وتحت ظروف خاصة كانت لها مسبباتها ، خاصة في وقت الازمات ولكن بالمقارنة بالفترات السابقة للخلافة الفاطمية نجد أن ذلك قليل الحدوث إذا ما قارناه بالاحوال الاقتصادية وأمن البلاد بصفه عامه قبل الحكم الفاطمي . وذلك بسبب اجراءات الأمن المشددة التي كانت تفرضها الحكومة الفاطمية ويطبقها أمراؤهم المغاربة خاصة في الطرق المتجهة الى بلاد المغرب لدرائتهم بمسالكها وطرقها ، كذلك كانت الحكومة الفاطمية على درأيه بمن يقوم بمثل هذه الهجمات على القوافل فتقوم بالتفاهم معهم أو ردعهم لتجنب وقوع أى خسائر ، وحتى تنعم طرق التجارة بالأمن والسلام والتي ظلت كذلك طوال الحكم الفاطمي الى حد كبير^(١) .

الضرائب المستحقة على التجارة الخارجية :

١ - الضرائب على التجار المسلمين :

كانت الضرائب التي قررتها الخلافة الفاطمية على التجار المسلمين المشتغلين بالتجارة الخارجية ضرائب كبيرة ، فقد كان لكل سلعة أو تجارة رسم أو ضريبه فمثلا كانت تفرض الضريبه على سلعه ما من بداية التجهيز والتحميل لهذه السلعه كان له ضريبه حتى نصل الى وصول السلعه او التجارة على ظهر الدواب أو السفن فكان لكل مرحلة رسم ، أيضا كانت كل سلعه مجهزة للإبحار أو السير في القوافل علامه تفيد أنها أنهت رسومها المستحقة عليها ثم تأتي مرحلة أخرى وهى التفتيش خاص للمراكب عند إقلاعها ، ويذكر المقدس عن ذلك فيقول :

(١) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

المقدسى : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

" كان على شط النيل بالمقس ضرائب ثقال" (١) وبضيف على هذا الجانب ما راه ناصر خسرو فى رحلته للقاهرة بقوله :

" سمعت من النقات أنه يصل .. لخزانة سلطان مصر يوميا الف دينار مغربى ويصل ذلك المقدار مرة واحدة ويحصله شخص واحد ... يسلم الى الخزانه .. ولايجبى شىء بالعنف من اى شخص" (٢) .

كذلك كانت هناك ضريبة تجي على التجارة الخارجية وتسمى المكوس (٣) وكان الفاطميون يفرضونها فى كثير من الأحيان ، فمنها المكس المقرر على البهار وكان بمقدار ثلاثه وثلاثين الفا ويزيد أيضا مكس يفرض على البضائع والقوافل وقيمته تسعة الاف وثلاثمائة تقريبا وان كان بعض الخلفاء الفاطميين يسقطون هذه المكوس ومنهم الحاكم بأمر الله ففى رمضان سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، رفع الخليفة ضريبه المكوس عن أهل القلزم مما كان يؤخذ على المراكب والذى كان يقضى بأن يؤخذ مكس عن كل حمل درهم . وان عادت مرة أخرى فيما بعد (٤) .

٢ - - الضرائب التى كانت تجبى من التجار غير المسلمين :

فكانت الضرائب التى تجبى على هؤلاء التجار تسمى بالعشر .

فيذكر القلقشندى " أن المقرر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يقدمون بها من دار الحرب الى دار السلام اذا شرط ذلك عليهم" (٥) .

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٧٩ .

(٣) القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ ، ٤٦٧ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٥) القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ .

وإذا كان العشر هو الضريبة المأخوذة من التجار غير المسلمين فنرى أن هذا المقدار قد يزيد أو ينقص خلال العصر الفاطمي وفقا لما يراه الخلفاء خاصة ، إذا رغبوا في تشجيع التجار على جلب المزيد من تجارتهم الى البلاد فاتهم يأمرون بنقص هذه الضريبة الى النصف لتصبح الخمس تشجيعا للتجارة الخارجية وفي بعض الاحيان يعفون منها ، فذلك كان متوقفا على السياسة التي يراها كل خليفة وفقا لرؤيته وأبعادها . وكانت هذه الضريبة أو المكوس على التجارة الخارجية لغير المسلمين تجبى مرة واحدة في السنة حتى ولو جاء التاجر مرات بتجارته في نفس العام ^(١) .

وخلاصه القول أنه كانت هناك في القاهرة الفاطمية المقومات والأسباب التي أدت الى انتعاش التجارة بها وما للمغاربة من دور فعال ومؤثر في التجارة الخارجية سواء كانوا مشاركين في التجارة مثل عروس بن يوسف وغيره من التجار أو من كان مسئولاً من قبل الخليفة الفاطمي بالاشراف على حركة التجارة الخارجية وقامت القاهرة بتصدير العديد من المنتجات والمصنوعات التي كان لها رواجها في التجارة بين البلدان في الشرق والغرب .

وكما أوضحنا أن القاهرة بصفتها عاصمه الخلافة الفاطمية كانت توافق على أن تستخدم طرقها على سبيل الوساطة لتتمر عبر موانئها والبضائع والتجارات الخاصة بالغير وعبر طرق ومنافذ التجارة من القاهرة الى البلدان وكأنها شبكة إتصال للقاهرة بالعالم من حولها مع توضيح للضرائب المستحقة والمقررة على التجار المسلمين وغير المسلمين خلال العصر الفاطمي .

(١) المقرئى : الخطط ، ج ، ص ٢١٣ .

المستوى المعيشى للمغاربة فى القاهرة فى العصر الفاطمى :

لتحديد المستوى المعيشى للمغاربة فى القاهرة الفاطمية قسمنا أحوال المغاربة من

حيث درجتهم ومكانتهم والمهن التى اشتغلوا بها كما يأتى :

أ - المغاربة المشتغلون فى الوظائف القيادية والإدارية .

ب - المغاربة المشتغلون فى الصناعة والتجارة .

ونبدأ بالمغاربة المشتغلين بالوظائف القيادية والإدارية فى القاهرة ، ويتعين علينا قبل

تحديد المستوى المعيشى لهم أن نتقدم بتحديد رواتبهم لنقف على مدى ما تمتعوا به من ثراء

أو ما دون ذلك فى معيشتهم فكان من بين المغاربة المشتغلين فى الوظائف العليا صاحب

المجلس الذى يتولى الاشراف على مجلس الخليفة ، وكذلك صاحب الرسالة الذى يخرج

برساله الخليفة الى رجال دولته وهو متولى زمام القصر وصاحب الدفتر فكان كل منهما

يتقاضى راتباً شهرياً قدره مائة دينار ^(١) ، وكان صاحب الباب ^(٢) يتقاضى مبلغ مائة

وعشرين ديناراً ^(٣) .

وكان جعفر بن على صاحب باب المعز هو أول من تولى الحجاب من المغاربة فى

القاهرة ، كذلك ممن تولى من العسكر خدمة قصر الخليفة مثل حامل السيف وحامل الرمح ^(٤)

فكان راتبهم سبعون ديناراً فى الشهر . كما كان راتب الامراء ارباب القصب ^(٥) الفضية يتفاوت

(١) النويرى : نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ص ٤٦ .

(٢) صاحب الباب هو حاجب الخليفة الفاطمى ويلقب الحاجب " بالمعظم " المقرئ الخط ، ج ٢ - ص ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق - ص ٤٥ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

(٥) وهم الذين يركبون فى موكب الخليفة بالقصب الفضية ولكل منهم خمسة ممالك وإذا ما اثبت منهم

كفاءة واخلاصاً يرقى الى مرتبة الامراء المطوقين وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٩٦ .

ما بين عشرة الى مائه دينار ^(١) ، ومن الشخصيات الهامة فى الدولة الفاطمية ويتقاضى أعلى أجر فى ذلك الوقت هو الوزير الفاطمى فكان راتبه يقدر بخمسة الاف دينار شهري بل ويعطى راتباً شهرياً لاولاده من مائتى الى ثلاثمائة دينار ، وفى كثير من الأحيان قد يصل راتب الوزير الى أبعد من ذلك بالاضافه الى الجرايات من الحبوب واللحوم ، والهبات والعطايا التى لا تنقطع ^(٢) .

أما عن قاضى القضاء فقد بلغ راتبه ألفان ومائتى دينار . خاصة وأن منصبه يتطلب العدل ، هذا وبالإضافة الى ما قد يحصل عليه القاضى من رواتب أخرى عندما يسند اليه ، وظائف أخرى مثل والى المظالم و والى بيت المال ^(٣) .

أما المحتسب فكان راتبه ثلاثين ديناراً وراتب صاحب الديوان " ديوان الانشاء " قدره مائه وعشرين ديناراً شهرياً بالإضافة الى العطايا والهبات ^(٤) . وهكذا كانت بعض نماذج لرواتب كبار رجال الدولة الفاطمية من المغاربة فى الوظائف القيادية والادارية والذين كان لهم قصورهم ومنازلهم التى تدل على ما كانت عليه معيشتهم بصفه عامه من سعه .

ولقد ارتبطت الاسعار ^(٥) فى القاهرة وفقاً لمنسوب النيل وما يترتب عليه من زيادة أو نقصان فى كمية المخزون من الغلال ، ومن ناحية أخرى أثرت الاوضاع السياسية وما قد ينتج من أمن أو اضطراب وانعكاس ذلك على الأسعار وأحوال المعيشة .

(١) حوريه سلام : النظام المالى ، ص ٤٧ .

(٢) ابن منجب : الاشارة عن من نال الوزارة ، ص ٢٣ .

(٣) الكندى : الولاء والقضاء ، ص ٦١١ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ، ص ١٥١ .

- الخوارزمى - مفاتيح العلوم - ص ٧٨ .

(٥) المقرئى : اغاثه الامه ، ص ٢٠ .

ويشير ابن الاثير الى الازمات الاقتصادية التى وقعت فى أواخر عهد الأخشيديين والتى كانت أحد الأسباب التى عجلت بدخول الفاطميين الى مصر ، ابن الاثير - الكامل - ج ٩ ، ص ٢١١ .

ثانيا : المغاربة المشتغلون فى الصناعة والتجارة :

من الواضح عند دراسة الأحوال الاقتصادية للتجار والصناع فى العصر الفاطمى انها تحسنت حيث تمتعت البلاد بالأمن والاستقرار ، فكانوا يمنحونهم أجوراً^(١) مرضيه ، وتفيدنا أوراق الجنيزه عن هذا الجانب خاصه عن الصناع والتجار منذ عهد المستنصر^(٢) الى ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، فقد ورد بها أن عامل البناء يتسلم خمسه دراهم ووجبه غذائيه قيمتها حوالى درهم وربع يوميا ، وهذا الأجر أيضا كان يحصل عليه صانع الزجاج ، كما ورد فى عقد يرجع تاريخه الى ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م .

ومن الملاحظ أن صناعة البناء فى العصر الفاطمى هى الصناعة الوحيدة التى يدفع لها أجر يومى مصاحب له وجبة غذائية يومية، من المحتمل لمشقه هذه الصنعه^(٣) .

(١) قسم المؤرخون مسألة الأجور الى قسمين : الأول الأجر العام مثل أجر النجار والحداد حيث يستحقوا أجورهم نظير عملهم ، أما القسم الثانى : فهو الأجير الخاص الذى يحدد أجره ، ليس بحجم العمل وإنما وفقا للزمن المستغرق ، سيد طه ، الحرف والصناعات : ص ٤٠٤ .

(٢) ورد لفظ أجير فى عقد بيع سنة ٤٠٦ هـ وكان اسم الشارى " متوسى بن ثيدر " لعله مغربى .
جروهمان : أوراق البردى العربيه - ج ١ ، ص ١١٦ .

(٣) للمرجع السابق ، ص ٤٠٦ .

وتشير الوثائق الى عقود مشاركته بين اصحاب الأموال والصناع فى القاهرة فى العصر الفاطمى خاصه فى صناعه الزجاج والطحى والصباغة وغيرها ، وكانت عقود المشاركة تتراوح مدتها ما بين سنة أشهر أو أكثر وفى بعض الاحيان مدى الحياة ^(١) ويتقاسم فيها الشركاء المكسب والخسارة ، ومن الطريف أنهم كانوا يقبضون مبلغا من المال للانفاق على الطعام عندما تقتضى الحاجة الى الاستمرار فى العمل فى غير الاوقات المحددة له .

والى جانب الاجور المقرره للصانع أو صاحب الحرفة كان منهم من يتعامل بذكاء ويقرر أتعابه التى يتقاضاها وفقا لمهارته او لقدراته .

ويذكر ابن الزيات " ان ابن الكيزانى الشاعر كان يملك معملا للقزازه ^(٢) والنسيج ومعه بعض العمال الذين يشتغلون معه وأن قيمة ما كان يدره عليه دولاب عمله فى كل يوم ثلاثه دراهم ونصف فكان ينفق على نفسه نصف درهم ويعطى أصحابه العمال الباقي وقدره ثلاثه دراهم " ^(٣) .

هذا فى الوقت الذى كان عمال وصناع النسيج يتقاضون أجورا تصل الى مئات الدنانير فى الثوب الواحد .

أما عن سعر متطلبات النسيج والحيাকে من المواد الخام اللازمه للصناعه فكان وحدة وزن الخيط درهم واحد ، وكان ثمن درهم الخيط فى اسواق القاهرة ثلاثه دنانير مغربية ^(٤) .

(١) جيواتين : دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص ١٦ .

(٢) القزازه وهى نسيج الحرير ويسمى المشتغل بها قزاز .

(٣) ابن الزيات - الكواكب السياره - ص ٣٤٠ .

(٤) المرجع السابق - ص ٤٠٦ .

وكان التاجر فى ذلك العصر يربح أضعاف ما كان يربحه الصانع لنفس المنتج لأن الصانع كان يقوم بتحويل المادة الخام الى منتج يباع وبذلك لا يستطيع أن يبالغ فى تقدير الثمن الذى يبيع به ، أما التاجر فكان فى استطاعته تحديد أو تقدير الثمن الذى يريد ، وكان على مشايخ طوائف الحرفيه دور كبير فى رعايه مصالح الصانع ورفع أجورهم بما يتفق وتكاليف الإنتاج مع هامش ربح بسيط وذلك تحت رعايه الدولة الفاطمية عن طريق المحتسب^(١) الذى كان يسيطر على مجريات الأمور فى سوق القاهرة .

وعلى كل حال فإن الوسيلة الوحيدة لحماية الصانع هى رفع مستواهم الفنى والتقنى وهذا كان لرفع أجورهم وتحسين مستواهم المعيشى . وهذا ما كان للتجار والصناع من أجور تلقى الضوء على وضعهم ومكاسبهم وإن اختلفت ، ففى المهنة الواحدة يختلف مكسب أو اجر فرد عن آخر ، فإذا كان صانع ما يقوم بتسج الثياب ويتقاضى عدة دراهم نجد صانعا اخر يتقاضى مئات الدنانير لصنع ثوب واحد ، فكان ذلك كما سبق وذكرنا يتفق ومهارة الفرد سواء كان تاجر أو صانعا ووفقا لمهنته أو قدراته وأيضا وفقا لمن يطلب الشراء بمعنى أنه يختلف الأمر اذا كان المشتري أو الطالب لصناعه ما من أكابر البلاد أو من عامه الناس وكل على حسب سخائه .

وبعد عرض لرواتب المغاربة فى الوظائف القيادية والادارية وبعد عرض لبعض أجور وأموال التجار والصناع المغاربة فى القاهرة المعزیه نود أن نلقى الضوء على أهم المصروفات التى ينفقونها بها فى ذلك الوقت .

(١) المقرئى : الخطط ج ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢) المقرئى : إغائه الأمة - ص ١٤ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٦٩ .

فكانت هناك ضرائب ^(١) ومكوس تخرج من أموالهم الى خزانه الدولة منها : الزكاة -
المكوس - الأموال المصادرة .

فالزكاة : وهى فريضه وركن من أركان الاسلام الخمس : " خذ من أموالهم صدقه تطهرهم
وتركيهم بها " ^(٢) صدق الله العظيم .

وكانت تحسب على أساس السنة الهلاليه ^(٣) وتوزع طبقا للشرع فى العصر الفاطمى
مباشرة من الأفراد ولم يبق ليؤخذ على صورة زكاة الا ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما
يدخلونه للبلاد من ذهب أو فضه وحال عليه الحول ويؤخذ منهم بمقدار ٢٠/١ من الدنانير .
والزكاة فى المذهب الشيعى لا تختلف عن المذهب السنى فى شىء .

المكوس : وهى ضريبة تفرض على البضائع والتجارة ^(٤) وتقدر الخمس من هذه التجارة أو
العشر أحيانا ^(٥) ، وفى الحقيقة أن هذه المكوس كانت تجى بصورة كبيرة فى العصر
الفاطمى بصفه عامه وفى العصر الفاطمى الثانى بصفه خاصه فيذكر المقدسى بقوله "أما
الضرائب فتقيلة " ^(٦) .

(١) كان الفقراء يرون أن العامل أو الصانع وغيرهما ممن لا يبلغ دخله فى العام الواحد مائتى درهم فما
دونه ، فهو يستحق الصدقه .

(٢) سورة التوبه ، آيه : ١٠٣ .

(٣) أبو يوسف : الخراج ، ص ٧٦ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ - ص ١٠٤ .

(٥) أبو يوسف : الخراج ، ص ٧٥ .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٣ .

ولقد بلغ مقدار ما جبي من مكوس فى يوم واحد ٥٠ ألف دينار مغربى ^(١) ولقد إشتملت المكوس النشاط التجارى والصناعى فكان البيع لا يتم الا على يد سماسرة - ويختتم على عمليات البيع بخاتم الحكومة بعد سداد الرسوم ^(٢)

أما الأموال الصادرة : وهى ما يرد الى خزائنه الدولة عندما يقع سخط الخليفة الفاطمى على شخص من رجالها فتصادر أمواله وتوضع فى ديوان " المفرد " كذلك هناك ما يسمى " بالنجوم " وهى ضريبه للدعوة تجبى لصالح نشر المذهب الفاطمى ، ولكن هذه الضريبه تدفع بالاختيار .

وكان ما سبق أهم المصروفات التى تحملها المغاربة بمختلف طوائفهم فى القاهرة الفاطمية ، ويجدر بنا أن نشير الى ما حدث من فترات شدائد وسوء الأحوال الاقتصادية التى عانت منها البلاد والسكان بإختلافهم. فإن ما تضار به البلاد يضير سكانها ، لتتمكن من إيضاح صورة شبه كامله لأوضاع المغاربة فى ذلك الوقت - لنخرج بحقيقة وضعهم المعيشى فى تلك الفترة الزمنية من الحكم الفاطمى ^(٣) .

ونبدأ بعهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وهو من الخلفاء الذين عرف عصرهم بالرخاء والثراء والاستقرار وأيضا بالمنح والعطايا ، وكان خراج مصر فى عهده يقدر بمبلغ ٢٠٠.٠٠٠ ر. ٣٠٠ (دينار على حد قول المقرئزى وإن بالغ فى التحديد فان الغرض توضيح مدى التقدم الاقتصادى الذى كان سببه الاستقرار السياسى ^(٤) وبالتالي يرتفع دخل الفرد ، فكان ما يحدث فى البلاد من رخاء وكساد يعم على كافة المدن المصرية بما فيها القاهرة خاصة وهى عاصمة البلاد .

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ١١٣ .

(٢) حوريه سلام : النظام المالى ، ص ٣٥ .

(٣) وهو ديوان يتصل بديوان للمواريث الحشرية أنشاه أبو النصر حمدون وزير الحاكم، ابن ميسر :

أخبار مصر : ص ٥٦ ، رسائل المستنصر : جمال الدين الشيال ، ص ١٨٢ .

(٤) المقرئزى : الخطط - ج ١ - ص ٨٢ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الداعى الفاطمى ادريس عماد الدين ، عيون الاخبار ، ص ١٨٥ .

وتجدر الإشارة الى أن الحالة الاقتصادية ومدى الرخاء الذى عاشه المغاربة زمن المعز انما كان نتيجة لدورهم وجهودهم الموفقة للنهوض وتأسيس عاصمة الخلافة الفاطمية ، فكان مستوى معيشة الفرد والجماعات على درجة كبيرة من التقدم ولقد تمتع المغاربة فى عهده بالكثير من الخيرات وكان عهدهم الذهبى كما يقال .

وكان عهد الخليفة العزيز بالله كعهد أبيه من إستقرار ورخاء لكنه اختلف بعض الشيء بالنسبة للكتاميين بصفه خاصه فنسمع عن أحد وجوه كتامه الذى ضاق به الحال وهو "أبا عبد الله محمد بن على بن سلمان الكتامى" فلم يجد بدا من أن يشكو حاله للخليفة العزيز لما هو فيه من العله وقله ذات اليد عندما قال "... أنه ماله شىء يدفعه للطبيب ". وهذا يتوافق مع تقديم الخليفة للأتراك دون المغاربة الكتاميين^(٢) فى الدولة الفاطمية ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أحوال بعض قادة المغاربة الكتاميين ولايشمل كل طوائفهم .

وتشير الروايات الى أن المغاربة تأخروا عن حضور مبايعه الخليفة الحاكم وعندما بايعوه قدموا بعض المطالب الخاصه بطائفتهم مؤداها إسترجاع نفوذهم وأيضا من بينها أن تصرف لهم مخصصات ماليه تدفع على ثمانى مرات فى السنه وتمت موافقة الخليفة على ذلك^(٣) . ولقد تمتع المغاربة فى بداية حكم الخليفة الحاكم بأمر الله بالثراء وارتفاع مستواهم المعيشى الى حد كبير خاصه طبقة القواد والمشتغلون بالمناصب العليا بالقاهرة حتى كانت سنه ٣٨٧ هـ / ٩٩٦ م ، اذا ارتفعت الاسعار وعم الغلاء بالقاهرة والبلاد .

فيذكر المقرئى "ارتفعت الأسعار ووقفت الاحوال فى الصرف فان درهم المعامله كانت تسمى بالدراهم المزايدة والقطع فتعنت الناس منها"^(٤) .

(١) المقرئى : إتعاظ الحنفا - ج ١ - ص ١٢٠ .

(٢) لقد سمح الخليفة العزيز بالله لوزيره يعقوب بن كلس كى يذل كتامه فقدم الأتراك عليهم فى العطاء

- ابن سعيد - النجوم الزاهرة ، ابن منجب : الإشارة ، ص ٢٥ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٩ .

(٣) فكان توليه الحسن بن عمار وزيرا من الكتاميين فى عهد الحاكم أكبر دليل على نفوذهم - المناوى

الوزارة - ص ١٠٣ .

(٤) المقرئى : اغاثه الامه ، ص ١٥١٤ - الكندى : الولاء والقضاء - ص ١٧٠ .

ثم يزيد المقرئ بقوله " فتزايد سعر الدينار الى أن كان كل اربعة وثلاثين درهم
بدينار وارتفع السعر وزاد اضطراب الناس " (١) .

وعقب ذلك أمر الخليفة الحاكم بأن يجمع ما فى أيدي الناس من هذه الدراهم المزايدة
وأمر بإنزال عشرين صندوقاً من بيت المال مملوءة بالدراهم " العتق " بخلاف الاخرى من
المزايدة والقطع وقررت على الصيارف وأمر فى الناس بالمنع من التعامل بدراهم المزايدة
وأن يحملوا ما بأيديهم منها الى دار الضرب (٢) . وفى ذلك الغلاء وصل سعر الخبز كل
اربعة ارطال بدرهم ، ولذلك أمر الخليفة بتحديد أسعار السوق للحد من غلاء المعيشة .
وسعر القمح كل تليس (٣) بدينار والشعير عشرة وبيات (٤) بدينار .

والحطب عشر حملات بدينار وتم تحديد أسعار سائر الحبوب والمنتجات ولكن
استمرت الازمة (٥) حتى وصل سعر حملة الدقيق بسنة دنائير والارز كل وبه بدينار ولحم
البقر كل رطل ونصف بدرهم ثم مرت تلك الازمة وعادت الامور الى نصابها وعاد
الاستقرار والرخاء .

(١) - المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٢) يقصد بهذه الدراهم التى سبكت فى دار الضرب وفقاً للآزمة الاقتصادية .

(٣) التليس هو كيس من الخوص أو الصوف ذو سعة محددة .

(٤) المصدر السابق ، Dozy: Supp.Dict.Ar , p. 110

(٥) تلك الازمة التى حمل على اشتعالها برجوان خادم الحاكم حتى زانت بمقتل الوزير المغربى

الحسن بن عمار . ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٠

ويمضى عهد الخليفة الظاهر دون حدوث غلاء ملحوظ أو شذائد تمر بها البلاد، إذ انتعشت فيها البلاد وكانت أحوال المغاربة بالقدر الذى يكفل لهم العيش الكريم فلم تكن هناك خطوط واضحة تفيدنا فى هذا المجال . ليأتى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ليشهد عصره متفرقات مختلفة من ثراء يشهده الناس وبعض الرحالة كناصر خسرو يصف لنا مدى الانتعاش الذى كانت عليه أحوال سكان القاهرة وقصورها وأسواقها وما الى ذلك ثم يأتى عهد الشدة العظمى التى كان وراءها الفتن واختلاف^(١) أحوال القاهرة بالاضافه الى قله منسوب النيل وانعدام الزرع والغلال وعنه يقول المقرئى : " فارتفع السعر وتزايد الخلاء وأعقبه الوباء " (٢) .

ولقد وصل سعر رغيف الخبز عند اشتداد الأزمة بخمسة عشر دينار ومما وقع أيضا ان امرأة من أرباب البيوتات التى تسكن القاهرة أخذت عقدا من حليها والذى يقدر بألف دينار وعرضته فى سوق القاهرة على أن تأخذ بدلا منه دقيق وكان رد الكل عليها بالاعتذار . وذلك لعدم وجود الدقيق الى أن حصلت على كمية منه فلما رآها الناس فى السوق نهبوا ما معها ولم يصل الى يدها الا القليل (٣) .

فكانت هذه الشدة التى استمرت ٧ سنوات متواصله هزه عنيفه لأحوال المغاربة المعيشية والتى ضاقوا بها كسائر سكان القاهرة بل والبلاد جميعا ، فقد استبعد خلال تلك الفترة أربعة وخمسون وزيرا^(٤) واثان واربعون قاضيا وهذا مؤشر واضح للاضطراب والفوضى فنسمع عن اشتري قمحا فذهب منه وهو فى الطريق ولم يبق منه الا سبع قمحات فى يده فيقول " أصبحت كل قمحه وقعت على بدينار " (٥) .

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٧ .

(٢) المقرئى : اغائه الامه ، ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٩ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

النويرى ، نهايه الأرب ، ص ٢٦ .

ويؤكد المقریزی أن ذلك الغلاء الذى وقع لم يكن سببه الا الاضطراب فى أوضاع الجند والفتن بينهم حيث يذكر " ولم يكن هذا الغلاء عن قصور من النيل وإنما كان من اختلاف الكلمة ومحاربه الأجناد مع بعضهم " (١) .

ولقد أدت هذه الشدة الى خراب كبير وتغير كثير من أوضاع المغاربة فمن كان من ميسر البلاد أصبح لايمك الكفاف فكان منهم من يتنازل عن ما يمتلك من منازل مقابل القليل من القمح ليقّات به حتى كان عهد الوزير بدر الجالى (٢) ونادى فى العسكر والقواد من المغاربة وكل من وصلت قدرته الى عماره القاهرة أن يعمرها (٣) وبذلك بدأت الأحوال تتحسن وتتغير وبدأ المغاربة والسكان بالقاهرة يتنعمون الصعداء ليبدأ الرخاء من جديد ولترتفع الأحوال المعيشية مرة أخرى .

ومنذ ذلك الوقت وحتى سقوط الخلافة الفاطمية تارجح دخل ومكانه المغاربة فى القاهرة فقد أخذ دورهم ومن ثم أحوالهم فى التقلص منذ ٥٥١ هـ / ١١٥٦م وأصبح القليل منهم يتمتع بالمكانه الراقية أو من كان له تجارته الرابحة فى القاهرة الفاطمية .

(١) لقد امتعان المستنصر على الغلاء بملك القسطنطينية الامبراطور قسطنطين التاسع فأجهز له ٤٠

الف اردب من الغلال الا ان مات الامبراطور قبل وصولها ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٦٠ .

(٢) من المعروف ان عهد بدر الجمالى هو عهد نفوذ الوزراء العظام فى الدولة الفاطمية ومن بعده ابنه

الافضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش الى أن نصل لصالح الدين الايوبى وسقوط الخلافة الفاطمية

وقيام دولته . المقریزی : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء .